

سعيد عقل شعره والنثر

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبليس

سعيد عقل شعره والنثر

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبليس

للمؤلف

- بنت يفتاح الطبعة الأولى ١٩٣٥ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)
- المجدلية الطبعة الأولى ١٩٣٧ — الطبعة الثالثة ١٩٩١
- قدموس الطبعة الأولى ١٩٤٤ — الطبعة الرابعة ١٩٩١
- رندلى الطبعة الأولى ١٩٥٠ — الطبعة الخامسة ١٩٩١
- غد النخبة الطبعة الأولى ١٩٥٤ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)
- أجمل منك لا الطبعة الأولى ١٩٦٠ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة ومزيد عليها)
- لبنان ان حكي الطبعة الأولى ١٩٦٠ — الطبعة السادسة ١٩٩١
- كأس لحمز الطبعة الأولى ١٩٦١ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- اجراس الياسمين الطبعة الأولى ١٩٧١ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- كتاب الورد الطبعة الأولى ١٩٧٢ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- قصائد من دفترها الطبعة الأولى ١٩٧٣ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- دلزى الطبعة الأولى ١٩٧٣ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- كما الأعمدة الطبعة الأولى ١٩٧٤ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مزيد عليها)
- الوثيقة التبادعية الطبعة الأولى ١٩٧٦ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- خماسيات الصبا الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

كما الأعْمدَة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٧٤

الطبعة الثانية ١٩٩١

لي صخرة

من أين، يا ذا الذي آتسمته أغصانُ،
من أين أنتَ، فداك السرُّ والبانُ؟

إن كنتَ من غيرِ أهلي لا تُمرَّ بنا،
أو لا فما ضاقَ بابنِ الجارِ جيرانُ !

« لي صخرة »، « سائليني »، « غيت مكة »، « نسمت »، « شام يا ذا
سيف »، « مرَّ بي » كلها قصائد تُغني بها فيروز.

ومن أنا ؟ لا تَسَلْ. سمراء مَنِيَّهَا
في ملتقى ما التقت شمسٌ وشُطَّانٌ.

لي صخرةٌ علَّقتْ بالنَّجم أسْكُنُهَا
طارَتْ بها الكُتُبُ قالتْ: تلكَ لُبْنان !

تَوَزَّعَتْهَا هُمُومُ المَجْدِ فَهِيَ هَوَى،
وَكُرُّ العُقَابِينِ تَرَبَّى فِيهِ عِقْبَانُ.

أَهْلِي، وَيَعْلُونَ، يَغْدُو المَوْتُ لِعَبْتِهِمْ
إِذَا تَطَلَّعَ صَوْبَ السَّفْحِ عُدَّوَانُ،

من حَفْنَةٍ وشذا أُرْزِ كِفَايَتَهُمْ،
زَنُودُهُمْ إِنْ ثَقِلَ الأَرْضُ أَوْطَانُ.

هل جَنَّةُ اللهِ إِلَّا حَيْثُمَا هِنَيْتَ
عَيْنَاكَ ؟ كُلُّ اتِّسَاعٍ بَعْدُ بُهْتَانُ.

هنا على شاطئٍ أو فوق عند ربِّي
تفتَّح الفكرُ قلت: الفكرُ نَيْسانُ !

دنيا الى نقطةٍ شَدَّت وما هَرَقَتْ
دَمًا، ألا إنَّ خُلُقَ الحُرِّ سُلطان !



كنا ونَبْقَى لأننا المؤمنون بهِ
وبعد، فليَسعِ الأبطالُ ميدان !

على شاطئ النهر

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غمضة الأشهب،

حوالي مَطْلَ الوجود،
في العَبَقِ الطَّيِّبِ،

هنالك، والآنُ بين
المُتَهَلِّ والمُسَهَّبِ،

شَدَّدْتُ يَدَ السَّرِّ وَهُوَ
عَلَى الْمَهْدِ بَعْدُ غَيْبِي.



أَنَا ابْنُ الدَّهْوَرِ، ابْنُ لَبْنَانَ،
وَعِيُ الْخَلِيقَةِ بِي،

أَنَا جُبْتُ ذَاتِي وَأُفْرَعْتُ
أُغْنِيَّةَ الْمَطْلَبِ،

نَهَلْتُ الذُّهُولَ، نَهَلْتُ
شُحُوبَ الْفَتَى الْمُتَعَبِ،

وَصَمْتُ الْمَسَاءِ يَلُفُّ
الْيَتِيمَ وَقَبْرَ الْأَبِ،

نَهَلْتُ الشَّقَاءَ الْمُهِلَّ
جَمِيلاً كَوَجْهِ نَبِي.

أَنَا ثَرَوَةٌ كَالْكَآبَةِ
عُمَقًا وَكَالْغَيْهَبِ،

غَنِيٌّ أَحْسُّ الْوُجُودِ
غُبَارًا عَلَى مَلْعَبِي.

يَقُولُونَ: قَافِلَةٌ،
هَنَالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشِيدُ عَلَى الْفَتْحِ أَثَبَتْ
مِنْ مَجْدِكَ الْخُلْبِ،

لَهَا صَفْحَةُ الْأَرْضِ مَرْمَى،
وَنَاصِيَةُ الْكُوكَبِ.

قُلْ: الْفَتْحُ غَمْسُكَ فِي الذَّاتِ
كَفًا مِنَ الصُّلْبِ،

ورشفُكَ نفسَكَ رشفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كَأَنَّكَ حُلْمُكَ ضُمَّ
إِلَيْكَ... ولم يكذب! ...

أحمد الأعراس

ذُكِّرْنِي، شَجَرَاتِ، اللوز، بالأبيض،
بثوبٍ إكليها وهي اليمامُ البض،

بها... تخطُّرُ... تسترخي مدللةً
على ذراعٍ فتى كالليثِ إن ينقض.

سيفٌ وبحرٌ معاً حتى لتعبده،
تقول: طَرفُ الردى إِمّا التقاه غص.

مَلَأْكَهَ هِيَ، إِنْ دَسَّتْ أَنْامِلَهَا
بَيْنَ الْوُرُودِ اسْتَحَى شَوْكٌ لَهَا وَارْفَضَ...

اللَّهُ يَا شَجَرَاتِ اللَّوْزِ، غَرَنَ وَلَا
تَغْرَنَ... فَالْحُسْنُ أَشْهَى الْحَسَنِ مَا أَمْرُضُ!

مِنَ الزَّمَانِ أَرَاهَا الْيَوْمَ رَاجِعَةً
تَمْشِي إِلَى بَيْتِنَا فِي طَرْحَةٍ أُعْرِضُ.

وَدِدْتُ لَوْ أَتَلَقَّاهَا وَأَحْبَسَهَا
فِي الْقَلْبِ شِقْرَاءَ شُقْرِ كَالشَّعَاعِ الْغَضِّ،

أُغْنِيَةً هِيَ فِي بَالِي وَأَسْمَعُهَا
مَهَبٌ رِيحٍ دَنَا أَوْ نَاسِمًا أُعْرِضُ...

لَا لَا تَخَيِّلُهَا إِلَّا وَزْنُذُ أَبِي
يَلْفُ مِنْهَا عُرُوسًا خَصَرُهَا يَنْهَضُ...

غزل الدين الثاني

يا اندفاع الأمواج في شاطئ البوسفور،
رفقاً بذكریات الأمير !

ببقايا حلمٍ تفوّف بالصُّبح،
وألوى، فالصبحُ مائتٌ نور،

فيه من وثبة الجريحِ الى الثأر،
وفيه من احتضارِ النسور !



هو فخر الدين، الفتى، يقرأ الأيام
في قول خازني وقور،

فيرى الأمس من مذابح حمر
نافرات على ممر الدهور.

جده، قبله الشمس، قتل،
وأبوه، دنيا أسي، في حفير،

والدروز الأباة يُغويهم السيف،
فيستقبلونه بالصدور،

وإذا وجه عين صوفر أشلاء،
وآفاقها بلون الزفير،

ويغض الأمير طرفاً، ويخفي،
خلف جفنيه، هزة للعصور.



بِسْمِ الدَّهْرِ لِلشَّرِيدِ، وَأَعْلَى
الْعَرْشِ، ظَمَانٌ، لِلْأَمِيرِ الصَّغِيرِ،

أَرْضُ لُبْنَانَ حَفَنَةٌ، إِنَّمَا مَلْعَبُ
عَيْنِهِ بَعْدَ بَعْدِ الضَّمِيرِ،

عَصْرَتِ قَلْبَهُ حَدُودَ دَوَانٍ
فَرَاهَا عَلَى شَفَا المَعْمُورِ،

وَاسْتَشَارَ الْأَبْطَالَ يَسْتَلْهِمُونَ
المَجْدَ... دُورِي بِهِمْ، ذَرَى المَجْدِ، دُورِي!

سَأَلَ فِيهِمْ شَاطِي طَرَابُلُسٍ، وَانْشَقَّ،
تِيهًا، عَنْ أَنْجَمٍ فِي مَسِيرِ،

وَتَدَاعَى عَرْشُ ابْنِ سَيْفَا إِلَى التُّرْبِ،
وَحَلَّى الصَّدَى بِصُومِ الصَّخُورِ،

فاذا يُنصَبُ البنونَ الى الموجِ ،
يُحسُّونها قنأً في الهدير !



وتنادوا من الشمال الى زحلة
يسترقدونها في الكُرور،

فيهبُ الشجعانُ ضجَّ لهم سيفٌ
وغنى رمحٌ سيقى سميري...

دانَ مجدُّ الفريخِ ، دانَ شفا
الأردنُ ، في وثبةٍ ونفخةٍ صور.

عُصْبَةٌ بُسِّلَ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ ، رميَ التُّدورِ ،

قيل: حج ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلت في النُّهى نزولُ الثُّور.



كاد وجهُ الأميرِ يحجبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السُّهى منشور !

كاد لبنانُ يلتقي العالِي البابِ
بزئِدٍ سَمَحِ الفتولِ، قدير !

فتلّوتُ أستاذةَ روعةِ الواجفِ
هزّتُهُ غَصَّةُ المقهورِ،

حلّمتُ بالشواظِ يُمطرُ لبنانَ،
وبالكرِّ بالعديدِ الوفيرِ،

فإذا البرُّ من غبارِ عُبابِ،
وإذا البحرُ من دُخانِ حُرورِ،

مِنْ عِدَى بُكْرِ الْعَتَادِ، تَكَادِ
الْأَرْضُ تَرْنُو إِلَيْهِمْ بِنُفُورِ.

لَمْ يَرْغُهُ التَّقَاؤُهُمْ وَعَلَى الْكَفِّ
فَوَادٌّ لَهُ حَبِيبُ الْكَرُورِ،

رَاعَهُ حُلْمُهُ تُحَطِّمُهُ الْأَقْدَارُ،
طِفْلاً فِي هَدَاهَاتِ السَّرِيرِ،

فَأَمَحَى عَنْ عِدِيَّهِ، يَكْظِمُ الْغِيْظَ
اشْتِيَاقَ الْيَوْمِ الْكَبِيرِ الْكَبِيرِ.

✱

بَيْنَمَا النَّاسُ هَيَّيْمٌ بِعَلَى
وَلَدِ السَّيْفِ، حَدَّهُ الْمُسْتَطِيرِ،

كَانَ فِي مَقْلَبِ النَّهَارِ أَمِيرٌ
مُجْهَدُ الطَّرَفِ، مُجْهَدُ التَّفَكِيرِ،

يتلوى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطها والسطور،

مُتَعَبٌ، يَفْجُرُ الأَسَى مِخْجَرِيه،
وتداويه بِسَمَةِ المحرور،

تعتريه، شوقاً الى مجدِ لُبْنان،
ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسور

ويودُ التقاءَ الأرز بالوهم،
فَيَجْري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يَسْتَبِقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطة ارتقصت زهواً،
وطارت من كَفِّه في سرور !

حَمَلَتْهُ إِلَى شَوَاطِيءِ لُبْنَانَ،
أَوَاذِيٍّ مِنْ مَنَى وَحُبُورِ،

والتقاء البَلاطُ مولَى سيحامي
جبهة التُّركِ مِنْ عَدُوٍّ مُغِيرِ،

« شَفِيتُ مِنْ طَمُوحِهِ » مَقْلَتَاهُ،
وَتَعَرَّى مِنَ الْخِيَالِ الْخَطِيرِ،

لو رَأَوْا فِي الْبَلَاطِ نُوراً لَكُبُوا،
فِي خَضَمِّ الْبُوسْفُورِ، بَازَ الْقُصُورِ !

✱

دَاسَ فِي أَرْضِهِ الْأُمَيْرُ، فَرَّاحِ
الْجَبَلِ الْمَيْتِ فِي ثِيَابِ النُّشُورِ،

وَسَرَتْ رِعْشَةً بَلْبَنَانَ هَزَّتْ
مِنْ ذُرَى أَرْزِهِ إِلَى صَخَرِ صُورِ:

أُمَّةٌ تَسْتَرِدُّ مَجْدًا سَلِيًّا،
وَأَمِيرٌ يَلْهُو مَعَ الْمَقْدُورِ.

يَا حِجَاراً خَوَّفَتِ اللَّوْنِ فِي لُبْنَانَ،
قُصِّي كِتَابَ عَهْدٍ نَضِيرِ !

قَلْعاً كُنْتَ، ضَاكِكَاتِ مِنَ النُّجْمِ،
حَسَاناً، مَمْرَدَاتِ الْخُصُورِ،

أَنْتِ تَيَّرُونَ ! أَنْتِ عَجَلُونَ ! أَنْتِ
الْمَرْقَبُ السَّمْعُ مَاطِراً بِالسَّعِيرِ !

أَنَا مَا دُسْتُ مَرَّةً حِجْراً مِنْكَ،
وَلَمْ أَتَفَضَّ لِذِكْرِ الْأَمِيرِ !

حَدِّثِي ! حَدِّثِي ! فَمَنْ لَوْنُكِ النَّاجِلِ
أَطْيَافُ جَيْشِنَا الْمَنْصُورِ !

سألت الأرض بالخيول مع الأردن،
سألت مع الخيال التفور،

تزرع الراي خافقات، من العاصي
الى الميت، ضاحكات النشور،

ومن الأبيض الكبير الى تدمر،
رقاقة السني والحبور.

ضحكت، يوم عنجر، الأسل السمر،
وشكت قلب الضحي المستجير،

لجب طيب العتاد التقته
باقة من شبابنا الممرور،

سايفته، لا قطعها قطع جبن.
رامحته، لا شكها شك زور.

أَجْفَلَ السَّهْلُ لِلطَّعَانِ ، وَأَغْضَى
وَجْهُ حَرْمُونٍ لِلدَّمِ الْمَهْدُورِ ،

يَنْثُرُ السَّيْفُ قِرْنَهُ ، فَتَخَالَ
الْأُنْجَمَ الْحَمَرَ مِنْ حُسَامٍ نَثِيرٍ ،

وَتَخَالَ الْأَمِيرَ ، فِي جَيْشِهِ الْعَابِسِ ،
يَمْشِي عَلَى ابْتِسَامِ الثُّغُورِ ،

ظَلَّ هَزْجُ الْفَرَسَانِ يَلْعَبُ بِاللَّيْلِ
إِلَى سَفَرَةِ الصَّبَاحِ الطَّرِيرِ ،

فَإِذَا صَبَحُ مُصْطَفَى ، قَائِدِ التُّرْكِ ،
حَزِينُ السَّنَى ، حَزِينُ السُّفُورِ ،

مَا رَأَاهُ الْأَمِيرُ إِلَّا التَّقَاهُ
بِسَخِيٍّ فِي كَفِّهِ ، مُوزُورِ ،

ضربةً منه سمحةً كَبَّتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأطلَّتْ شمسُ العمامِ ، فحيَّتْ
جُنْدَ لُبْنَانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ :
« يُعْطِكَ اللهُ ، لستَ لي بأسير،

أَنْتَ حرٌّ ! فِطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملاً العينَ من سنى التحرير ! »



نَكَّسَتْ هَامَهَا الجبالُ ، ودان
الشرقُ للمستقلِّ فيه ، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبِ
مستهامٍ الى الخيالِ ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبْنانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبُوساً،
فعلى الشرقِ رِيشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أَسْتانَةَ،
نجوى جِداً ونجوى نَفير،

أَيُخْلِى مرادُّ الرابعِ العرشَ
على وهديةِ الردى والشفير ؟

أَيُخْلِى أَمِيرَ لُبْنانَ ثِيَّاهَا،
يشكُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلْمٌ في خيالِ لُبْنانَ رُحْبٌ،
رعرعته فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تَمُخِرُ الْعُبَابَ وَتُبْقِي
الهِرَقْلِيَّاتِ، خَلَقَهَا فِي قُصُورِ،

تَقْصِدُ الْقُطْبَ، وَالشَّوَاهِقَ فِي الْقُطْبِ
تَوَاحِي مَنَاجِمًا فِي بَكُورِ،

وَتَدُورُ اعْتِزَازَةً حَوْلَ بَكْرِ الْأَرْضِ،
تُغْرِي النَّضَارَ مِنْ أَوْفَرِ،

تَزْرَعُ الْمُذْنَ فِي الشَّطُوطِ، تَرْبِي
قَاهِرَ الْمُسْتَحِيلِ رَمَزَ الْقَدِيرِ.

وَيَتِيهِ السُّلْطَانُ فِي حُلْمِ لُبْنَانَ،
فَيُلَوِّي عَلَى جِسَامِ الْأُمُورِ.

*

حَمَلَةُ الْيَوْمِ، لَوْ تَكُونُ لِلْبُنَانِ،
لَرَدَّتْهُ سَيِّدَ الْمَعْمُورِ !

مِنْ رَجَالٍ أَوْفَوْا عَلَى الْهَمِّ عَدًّا،
وَسَفِينٍ أَرَبَتْ عَلَى التَّقْدِيرِ،

فَاللَّهْيُبُ اللَّهْيُبُ يُمَطِّرُ لُبْنَانَ،
وَيَرْمِيهِ بِالرَّدَى وَالذُّثُورِ،

وَيَخْلِيهِ شَعْلَةً مِنْ صَخُورٍ
بَعْدَ أَنْ كَانَ شَعْلَةً مِنْ زَهْوَرِ،

وَحَوَالِي الْأَمِيرِ مِنْ كَاطِمٍ قَسْرًا،
وَمِنْ حَاسِدٍ أَتَى الشَّرُورِ،

أَعَيْنَ يَخْنُقُ السَّنَى لَفْتَةً مِنْهَا،
فَتُغْضَى عَلَى مُرَادٍ ضَرِيرِ،

مَا اِطْمَأَنَّتْ لِلتُّرْكِ يُولُونَهَا الْقُوَّةَ،
إِلَّا تَفَجَّرَتْ عَنْ قُبُورِ،

العدي في رجاله، والعدي الترك
بحورٍ إليه إثر بحور،

يلتقيهم لبنان بالعصبة البسل
تاقوا الى الطعان الأخير،

فيموتون عن نفوس كبار،
وينامون ملء طرفٍ قرير.

قلعة إثر قلعة تُسلم الأبراج،
إلا تيرون، أخت النسر،

معقل الحلم كم أبت أن تداعى،
هزواً بالزمان والمقدور،

ما رماها الأمير بالدمع، لولا
السُّم في مائها الزلالِ النмир،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعِ آدمي غناء الطيور،

ومضى، سيفه كسيرٌ بأُستانه
مُخضوضِبٌ بحلمٍ كبير !



يا اندفاع الأمواج في شاطئ البوسفور،
رفقاً بذكریات الأمير !

الْمُنِيرَةُ

عَالَمٌ طَيَّ نَعْمٌ
يَتَحَدَّاهُ الْعَلِيمُ،

ضَمَّةُ الْقَبْلِ إِلَى الْبَعْدِ
بُعْمَرٌ مَعْتَمِدٌ
! وَهَذَا

دَقُّ كَالْبَرْقَةِ، شَكَّتْ
خِيَمَةً فَوْقَ الْأُمَمِ،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجّرهُ همم،

أو بناءً من خيالٍ
لم يُرغِغُهُ شَمَم،

يُخَصِّبُ الفِكرَةَ يستنطقُها
السِرُّ الأصم،

ويعرّي يديه
الشمسَ في قلبِ القَتَم.

*

وإذا نحنُ، الى الله،
شِراعٌ في خِضَم !

لِكْسِرِ الدُّسَيَّافِ

تصَبَّأكَ شِعْرِي، قَلْتَهُ قِمَمَ الْمَجْدِ،
سَلَامٌ عَلَيْهِ السَّيْفُ أُعْجِبَ بِالْغَمْدِ !

وَقُلْتَ بِهِ مَا صَيَّرَ الْآهَ وَرَدَةً
وَأَنْتَ جِرَاحُ الْآهِ، يَا نَسْمَةَ الْوَرْدِ !

* فِي يَوْمِ أَمِينِ تَقِي الدِّينِ.

حَبِيبُكَ، مَا حُبِّي الشَّهَامَةُ ؟ مَا الْغَوَى
بَاهِلِي وَبِالْقِمَاتِ مِنْ جَبَلِي الْفَرْدِ ؟

أَنَا، بَعْدَ مَا ظَلَمْتَنِي تَطَلَّعْتَ
جِهَاتِي إِلَى نَفْسِي وَنَفْسِي إِلَى الزُّهْدِ.

هُنَاكَ التَّقِينَا وَافْتَرَقْنَا... جَرَاخُنَا
لَتَبْنِي، لَكِنْ أَنْتَ تَسْكُرُ بِالْوَعْدِ،

وَأَقْسُو أَنَا أَقْسُو، أُرِيدُهُمْ لَهَا،
فَإِنْ جَبُنُوا طَلَبْتُ الْجَنَاحِينَ لِي وَحْدِي.

*

كَأَنِّي مَهْبُوبُ الرِّيحِ، وَالصَّعْبُ مُنْزَلِي،
وَشُعْلِي حَطُّ الْحُسْنِ فِي الْحَجَرِ الصُّلْدِ.

كَأَنِّي غَمُوضُ اللَّيْلِ، لَمْ يَبْقَ عَازِفٌ
لِجَنِّيَّةٍ إِلَّا وَرَقَصَهَا عِنْدِي..

أَقُولُ: الحَيَاةُ العِزُّ، حَتَّى إِذَا أُنَارَ
انْتَهَيْتُ تَوَلَّيْتُ القَبْرَ مَعِزِّي مِنْ بَعْدِي .

وَأَقْرَأُنِي يَوْمًا كَمَا لَوْ مِنَ الصُّدَى،
وَمِنْ كَاعِبٍ فِي الشَّعْرِ عَالِيَةِ النَّهْدِ،

لَتَفْدَى الحَيَاةُ اسْتُجِيعَتْ فِي قَصِيدَةٍ
وَعَنَّتْ وَرَدَّتْ... فَانْتَشَى الْأَفَقُ مِنْ رَدٍّ...

تَقُولُ بِهَا: « خَبَأْتُ، يَا لَيْلٍ، فَيْلَكِ... » وَلِيَكْمُلَ
وَيَفْنَ اللَّيْلُ فِي النَّعْمِ الرَّغْدِ !..

تَعَاظَمَنِي مَا ظَلَّ مِنْهَا وَمَا انْتَهَى
وَيُعَدِّي، وَغَيْنِيكَ، الْبَهَاءُ بِهِ، يُعَدِّي... .

وَصِيرْنَا هِيَ الدُّفْلَى... وَصِيرْنَا أَنَا النَّدَى.
وَنُقَشُ مِنْ دِيْوَانِ شَعْرِ عَلِيٍّ الْجَلِيلِ...

ذُرُونِي... سَأُطَوِّي قِصَّتِي مَعَ قِصِيدَةٍ
إِلَى أَنْ يَطِيبَ الْعُودُ فِي ثَقَرَةِ الْكُرْدِ.

*

وَيَا أَيُّهَا الدِّيَّانُ ضَمِّ شَمَائِلًا
كَمَا ضَمَّ مَوْجُوعُ الْعَرَارِ ثَرَى نَجْدِ،

تَنْزِلُ تُحَلُّ الشُّعْرَ أَشْعَرَ، وَالْهَوَى
أَرْقُ، وَذَاكَ الْمُنْحَنَى جَنَّةَ الْخُلْدِ !

لِجَبْرِ هَمِي كَالضَّوءِ عَنْ جَرِّ رِيْشَةٍ،
تَطْلَعُ الْأَقْلَامُ تَنْهَلُ مِنْ نَدٍّ...

هُوَ السَّفْحُ يُسْتَهْوَى، عَلَى أَنَّهُ الذُّبْرَى
إِذَا قُصِدَتْ خَلَّتْ لَهَا ثَأْنًا عَلَى الْقَصْدِ،

كَذَا طَرَّقَ الْأَبْطَالُ فِي الْقَوْلِ وَالْوَعَى
وَمَا سَهَّلَتْ إِلَّا جَبَانُهُ مُرْتَدًّا.

إِذَا نَقَطُ حَرْفِ شَاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أَنِيقًا، فَقَلَّ عَيْنٌ تَعْدَبُ مِنْ سُهْدٍ.

تَعَالَتْ يَدَاهُ شَاعِرٍ، كُلُّ نَسَمَةٍ
تُلِمُّ بِمَا أَخْفَاهُ، تَشْقَى بِمَا تُبْدِي،

وَلَوْعٌ بِأَنْغَامِ السُّكُوتِ يَصْبُهَا
لِمَلَّةٍ رَفُضٍ، يُسَكِّرُ الضِّدَّ بِالضِّدِّ،

أَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ، فَلَوْلَا أَنَيْنُهُ
لَكَانَتْ لِقِرْطَاسِي جَفَاءَةً مُعْتَدَّةً.

يَقُولُونَ بِي غَالِي ؟ أَنَا بَعْضُ ثِيْلِهِ
وَأَنْظِمُ، عَيْنِي فِي قِصَائِدِهِ الْمُلْد...

سَلِيلُ الْأُولَى قِيلُوا السُّيُوفَ "، رَأَيْتُ لَهُمْ
جِبَالَ وَقَالَ الْحَقُّ: مِنْ بَعْضِهِمْ جُنْدِي.

على ريف لبنان . تَمَوْا مُطْلَعَا نَعْلَا
الضياء ، وسالَ الْفَجِيرُ فِي الْقَمَمِ الْجُرْدِ .

وَأَتَى مَضَوْا ظَلُّوا بَلْبَنَانَ قَلْبُهُمْ ،
وَيَصْبُو إِلَى أَرْضِ الْعَرِينِ هَوَى الْأَسَدِ .

يُشْرِقُ شَطٌّ أَوْ تُغْرِبُ مَوْجَةٌ
وَهُمْ عَنفَوَانُ الصَّخْرِ لَيْسَ إِلَى شُدِّ .

أَنَا الْيَوْمَ مِنْهُمْ فِي قَصِيدَةِ شَاعِرٍ
لَتَسْكُنَنِي كَالرَّيْحِ تَلْفَحُ مِنْ بَرْدِ .

أَعُوذُ إِلَيْهَا الْآنَ بَلْبِي هَلْ طَلَبَ تَقْرِئُهُ
عَلَى الْعُودِ ، ذَاكَ الْغَارِسُ الْقُرْبَ فِي الْبُعْدِ ؟

وَذَاتَ دَلَالٍ كُلَّ صَبْحٍ تَزُورُنِي
فَأَقْرَأُهَا مِنْ أَحْمَصِيِّهَا إِلَى الْعَقْدِ ،

إلى جَبْهَةٍ باقٍ على الشمسِ ظلُّها،
إليها جميعاً إذ تَعَرَّى مِنَ البُرْدِ:

هنا مِثْلُ قَوْسٍ ضاربٍ فوقَ هُدُبِها،
هنالك صُبْحٌ صَيِّعٌ مِنْ سَكَبَةِ الزُّنْدِ،

وتُعَذِّبُ... لكن ليس تَسْهَلُ، صعبةٌ،
فَتُعْطِي ولا تُعْطِي، مُلْعَبَةُ الصَّدِّ

بِقَدِّ تَسَامِي زَنْبِقِيًّا فَإِنْ هَوَى
وَأَوْجَعَ... قُلْتُ: اللّٰحْنُ مَاتَ مَعَ الْقَدِّ.

وتَقَلَّقْ دوماً ليس تهْدَأْ، فهي لي
ولِلوَجْدِ أو لِلْمَجْدِ، أَشْهَى مِنَ الْوَجْدِ !

وزَيْدٌ عَلَيْهَا مِثْلُ: لا-شيءٍ، مِثْلُهَا...
كما لَفْحَةٌ تَسْنِي الإِلهَ غَلَى الْحَدِّ.

وَيَزَلُّقُ بِي طَرْفِي... أَشَلَّالُ لُؤْلُؤٍ
سَنَى الْجِسْمِ مَذْرِيًّا عَلَى الشَّعْرِ الْجَعْدِ؟

أَبْيَضَاءُ أَمْ صَهْبَاءُ؟... دَعَكَ وَضُمَّهَا...
كَأَنَّ قَدْ أَضَلَّتْكَ الْغِلَالَةُ عَنْ رُشْدٍ...

تَمَتَّعْ... صَبَا حَسَنَاءُ ذَاكَ أَمْ أَنَّهُ
قَصِيدَةُ مَنْ إِنْ رَاحَ يَنْظُمُ لَا يُرْدِي؟

بِهِ أَوْ يَبْعُضُ مِنْ سُلَالَةِ شِعْرِهِ
زَهَوْنَا زُهُوَّ الْبَرْقِ أَوْ قَصْفَةِ الرِّعْدِ...

وَرَبُّ كَلَامٍ رُحْتَ تَنْسَى رَنِينَهُ
وَمَذْرَأُهُ مَا زَادَ عَنْ حَبَّةِ الرُّنْدِ،

تَكَسَّرَتْ الْأَسْيَافُ دُونَ جَلَالِهِ
وَقَالَتْ بِلَادٌ: حُجَّهْ، إِنَّهُ مَجْدِي !

مِنْ وَرَوَيْنِ الْاِثْنَيْنِ الشَّمْسُ ...

سَيْفٌ عَلَى الْبُطْلِ أَمْ شَيْمَائِكَ الْحُرْمُ ؟
— يَا شِعْرُ خَلَّدَ — وَسَيْفٌ ذَلِكَ الْقَلَمُ !

فَكَيْفَ مَرُّكَ بِالْجُلَى ؟ سَأَلْتُكَ قُلَّ
مَا هَابَكَ الْمَوْتُ ؟ مَا انْزَاكَ لَكَ الظُّلَمُ ؟

• فِي ذِكْرِ شَيْلِي الْمَلَاطِ .

ماضيك، غَزَارَةٌ كالصَّحْوِ، مُلْتَفَتٌ
كَأَنَّمَا الصَّقَرُ فِي تَحْدِيقِهِ نَهْمٌ،

صَدَّقْتُهُمْ كُلَّ هَذَا حُجُوتٍ طَوِيلَةٍ،
صَدَّقْتُهُمْ فَتًى فِي عِزِّ الشُّبَا الْهَرَمِ،

صَدَّقْتُهُمْ عَلِمُوا بِالْعَقَرِيِّ مَضَى،
لَكُنْهُمْ بِشَمُوحِ الرَّأْسِ مَا عَلِمُوا.



بِالْأَمْسِ دِينُوكَ اسْتَجِدُّهُ عَقِباً
مِنْهُ الْخَزَامُ، عَلَيَّاتٍ بِهِ الْقِيَمُ،

فَخَلَّتْنِي فَلَكِيَاءُ، مِثْلُ الْبِرَاءَةِ لِي،
حَوْلِي يَدُورُ السُّهَى يَجْثُو وَيَسْتَلِمُ،

أَبَابِلُ، قَلْتُ، زَارْتَنِي وَقَدْ حَمَلْتُ
إِلَيَّ أَشْيَاءَ أَمْ غَنَانِي الْهَشْرَمُ؟

وَلَعَيْشٌ، أَوْلَعَتْهُ وَوَدَّتْ لَوْ تَكُونُ أَبَا
رُوحٍ. الرِّيحُ، وَوَدَّتْ الزَّهْبُ، وَالْأَكْمَلُ



مَا لِي أَغْنِيكَ: « أَهْلِي النُّورُ مِنْهُمْ،
عَالُونَ كَالْأَرْزِ، جَارِ اللَّهِ، مَا رَغِمُوا

مَا نَكَّسُوا هَامَهُ إِلَّا لِخَالِقِهَا
إِلَّا لِلْبَنَانِ مَا دَانُوا وَمَا اخْتَكَمُوا،

فِي إِيْرِهِمْ أَنَاءَ دُنْيَايَ الْجَهْلِ، وَإِنْ
بَاصَدْتُ - فَالْسَفْحُ مِنْ لُبَانٍ وَالْقَتْمُ،

إِلَّا إِلِيَّ، إِلَهِي: مَا مَدَعْتُ يَدِي
أَجْرُوحُ؟ مِنْ أَشْرَفِي: خُبْرٌ وَمَغْتَمٌ

وَيَوْمَ يَمُرُّ بِيَالِ نَانٍ تَكُونُ لَنَا
يَرَاغَةُ بِالْهُدَى وَالنَّيْلُ تَضِطَّرُّ،

على السنى وعلى شَكِّ القنا رَبِيتْ
على الزئير، أواناتِ الحِمَى أَجَم،

ظَنَنْتُ شِعْرَكَ فخر الدين مُنتَهراً:
« جنودَ عنجر، هذا يومها الهمم ! »

يَسْحَى فَيَسْحُون، قَلَّتِ السيفُ في يده
يسخى وتلتفتُ القيعان والرُّجَم،

حَرَمُونَ في الأفقِ يَروي عَن بطولتهم،
صَنِينُ يَغوى بِهِم تِيهاً وَيَنسَجَم،

لله ما مَادَ مِنْ بُرْجٍ، وَزُلْزِلَ عَنْ
سَرْجٍ، وَمَنْ قَضَمُوا رُمْحاً وَمَنْ قَحَمُوا،

هُمُ الْأولى أَخَذُوا عَنْ راسياتِهِمْ
أَنَّ الْقِلاعَ وَأَنَّ الراسياتِ هُمُ !

حَتَّى إِذَا قَالَ: «كُفُّوا، قَدْ عَفَوْتُ أَنَا،
بِحَسْبِي النَّصْرُ، مَا لُبَانُ مُنْتَقِمٍ»،

ثَلَاخَظْتُ مِنْ أَسَاها الْخَيْلُ صَاهِلَةً،
وَفُتَّتْ كَاطِمَاتٍ غِيظَهَا اللَّجْمُ،

لَكُنَّمَا عَبَسَةً مِنْ حَاجِيهِ طَعَتْ،
فَعَادَتْ الْخَيْلُ كَالْفُرسَانِ تَبْتَسِمُ!...



طَابَتْ قِصَائِدُ خِلْتُ الْجَيْشَ مَنْدَفَعاً
فِيهَا، وَمُؤْتَلِقاً فِي أَفْقِهِ الْعَلَمُ!

شِعْرُ الرِّجْوَةِ، شَبْلِي، أَنْتَ تَبْعُهُ
بِكَ ارْتَوَتْ أُمَّةٌ، مِنْكَ انْتَشَتْ أُمَّةٌ.

بَلَى بَلَى، لَكُمَا فِي الدَّهْرِ وَقَعُ خُطَى
عَلَى الْعُلَى لَوْنَتْ مِنْ شَاوِهَا الدَّيْمُ.

الْفَاظُكَ الدُّهْمُ حُمَزٌ حِينَ تَرْصُفُهَا،
لَا حُمْرُهُ. أُسْرِجَتْ أَبْهَى دَوْلَا الدُّهْمُ.

أَنْتَ أَمَ هُوَ مَنْ خَلَّى الْجَمَلَةَ عَلَيَّ
مَفَارِقِ الْمَجْدِ، مُفْتَنًا بِمَا يَسِمُ؟

خَلَطْتُ بَيْنَكُمَا حَتَّى لَأَسْأَلُهُ
أَشَاعِرًا كَانَ حِينَ الطُّغْنِ مُحْتَدِمًا؟

تَوَقَّعِ السَّيْفُ يَوْمَ اخْتَالَ فِي يَدِهِ
مَا سَوْفَ تَأْخُذُهُ عَنْ جَبْرِكَ الْحَمَمِ.

أَنْتَ الْمُرُوءَةُ الْأَفْكَارِ تَأْسِرُهَا،
هُوَ الْمُتَنَعُّهَا الْهَمَّاتِ يَتَنَظَّمُ.

هَذَا امْتِشَاقٌ لِمَعْنَى مَنْ يَارِقُهُ،
هَذَا نَقْطٌ يَتَّصِلُ وَالْحُرُوفُ دُمُ.

تُغري ويُغري فَلَفَظَ مِنْكَ هُزُّ قَنَا،
ومنه قَطَعُ ثَقُولُ الْبَيْتِ يُحْتَمُّ.

أَرْهَفْتُمَاهَا الْقَوَافِي حَدُّهَا لَهَبٌ،
أَجْرِيْتُمَاهَا الْمَوَاضِي سَيْلُهَا عَرِمٌ.

مَرَرْتُمَا فَوْقَ دُنْيَانَا مَعاً وَمَعاً
لَاعَبْتُمَا الْمَوْتَ حَتَّى لَهَوَ مُنْهَزِمٌ.

يَا صِنْوَهُ مَنِبَأَ ذَاكَ الَّذِي نَحْتُوا
مِنْ اسْمِهِ اسْمَكَ، هَلْ أَنْطَقْتُ مَنْ وَجَمُوا؟

تَفِي وَلَوْ أَنْتَ خَلَفَ الْقَبْرِ، هَاكَ أَنَا،
فِي يَوْمٍ خُلِدِكَ، صَوْتِي بَعْضُهُ الْكَرَمُ.

مِنْ وَرَدَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ الشَّمْسُ أَرْفَعُهَا،
فَالْكَوْنُ شَخْطَةُ حَبْرٍ وَالْمَدَى كَلِمٌ!

في البال خلف الحرير الزهرِ خاطرةٌ
تعلمت قلتُ حسنٌ بالهوى برِّمُ،

— « حبيبي الحلو، نادى، والذراعُ على
جيدٍ، وجودٌ أنا أم وهمٌ من وهموا؟

حلمتني؟ أكملِ آخِلقُ، ليس أجملُ من
إطالةٍ راكعٍ في بابها العدم.

من بعدِ ما التقي نفسي يُخيّلُ لي
أني أنا قبلُةً حرّى وأنتَ فمٌ.

لا لم أجنها، جمعتُ الدهرَ، من عشقوا،
من أسكروا الكأسَ، من قالوا ومن أئتموا.

سقيتها لا دمُ العنقودِ أطيبُ لا،
ولا الخلودُ ولا ما فُتقَ القدمُ،

وما بقرطاجَة استَهْدُوا وما اعتَزَمَتْ
يعلبك الطَّوَالُ السَّتَّةُ العُظْم.

رَوَيْتُهَا لِي، لِإِلَالِي، لِلزَّهَوْرِ، لَهَا،
كَمَا رَوَيْتَ لِعَوْدٍ أَنَّهُ نَعَم !

فَقَرَّبْتُ شَفَةَ وَلَهَى إِلَى شَفَةِ،
وَهَبَّ يَعْطِفُ قَدْ الزَّبَقِ النَّسَم.

أَوَاهٍ مِنْ كَرَمَةٍ لَمْ يَصْنَحْ قَاطِفُهَا
إِلَّا لِيَشْهَدَ هَذَا الْكَوْنَ يَنْعَدَم !

وَمَنْ رَقَى الْمَوْتَ ؟ مَنْ قَالَتْ أَصَابِعُهُ
سَأَسْخَرَ السُّخَرَ حَتَّى تُبْعَثَ الرَّمَم ؟

أَمَانَ عَيْنِكَ، بَيْتَ الشَّعْرِ، أَنْتَ لَهَا،
يَا أَنْجُمُ آرْقُصْنَ لِي، غَنِّينَ يَا سُدَم !

الشَّعْرَ قَبْضٌ عَلَى الدُّنْيَا مُشْعِشَةً
كَمَا وَرَاءَ قَمِيصٍ شَعَشَعَتْ نُجُومٌ،

فَأَنْتَ وَالْكَوْنُ تَيَاهَانُ: كَأْسُ طِلَافٍ
دُقَّتْ بِكَأْسٍ وَحُلْمٌ لَمَّهُ حُلْمٌ.

*

عَالٍ كَمَا أَنْتَ شَبْلِي، مَا رَشَقْتُ بِهِ
بَابَ السَّمَاءِ وَمَا بِالْعَيْبِ يَصْطَلِمُ،

أَتَيْ عَلَى الْمُغْلَقِ الْمَرْصُودِ فَانْفَتَحَتْ
كَفٌّ مِنْ اللَّهِ مَا الْأَزْهَارُ؟ مَا الْحِكْمُ؟

شِعْرٌ إِلَيَّ يَشُدُّ الْمُنْتَهَى جَزْعاً
قَلْباً، وَمِنْهُ بِقَلْبِ الْمُنْتَهَى أَلَمٌ.

سَارَرْتُهَا الشَّمْسَ، أَيُّ الْخَمْرِ يُسْكِرُهَا
حَتَّى أَصَبَّ؟ فَقَالَتْ: «يُسْكِرُ الشَّمَمُ!»

النهران

وُلِدْتُ سريري ضِفَّةُ النهر، فالنهرُ
تآخى وعُمري مثلما الوردُ والشَّهْرُ،

وكان أبي كالمَوجِ يَهْدُرُ، مرَّةً
يُدْحَرَجُ من صَخْرٍ وَأَنَا هو الصَّخْرُ !

• في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علّمني الحقّ، ما الحقُّ ؟ دُفَعَةٌ
كما السَّيْلُ عنه انشَقَّ واخضوضر القفر.

وعُمرُ شرارٍ ليس يأسُنُ ينتخي
على الصَّعب، فهو الشَّرْدُ والبردُ والحرّ،

وأَنْك حَطُّ كالشَّهامة واقِفٌ
إذا انهار ظهْرُ الناسِ أَنْتَ لَهُم ظَهْر.

وما قَلَمٌ بالكِفِّ إن لم تَهْم به
مواضٍ وتَحْسُدُهُ الرُّدَيْنَةُ السُّمَرُ !

تَوَحَّدَ مَنْ مِنْ حَزِّهِ طابَ جِبْرُهُ،
وَمَنْ بَتَلَقِي طَغْنِهِ افْتَتَنَ الصَّدْرُ،

أنا عنهما ذِيْنِكَ الشَّائِلِينَ بي
أَخَذْتُ ولم أُسْكِرْ، وبِي تَسْكُرُ الخمرُ !...

كَأَنِّي بَيْنَ الْمَوْجِ وَالْمَجْدِ سَاكِنٌ،
وَدَارِي بِنْتُ الصُّبْحِ مَا شَابَهَا عَصْرٌ.

لَئِنْ تَحَكَّ عَنْ نَهْرٍ فَشَطْرُ قَصِيدَتِي
يُطِلُّ، وَهَزَّ السِّيفُ يَكْتَمِلُ الشَّطْرُ!...



تَحْيِيْنِهِ «الدُّوْنَ» كُلُّ تُرَابَةٍ
سَقَاها سَقَى أُخْتًا لَهَا الْقَلَمُ النَّصْرُ؟

كَلَامُكَ يُغْرِنِي، يُرْنِخُ خَاطِرِي،
يُذَكِّرُنِي بِالْأَرْضِ، أَرْضِي اللَّهُ تَعْرُ،

تَقْبَلُ حَتَّى لَهْيِ أُمٍّ... وَطِفْلَةٍ
رِضَى... وَعُرُوسٍ فَاحٍ مِنْ رُذْنِهَا الْعِطْرُ!...

أَغْنِي أَنَا لُبَّانَ أَجْمَلَ مَا شَدَا
كَنَارِي غُصْنَ رَقٍّ، لَكِنَّهُ نَسْرُ...

وَأَنْتَ تُغْنِي رُقْعَةً مِنْ جِبَالِهَا
جِبَالَ، عَلَيْهَا مُتَعَبًا يَتَكِي الدَّهْرَ.

كَلَانَا شَغُوفٌ بِالضُّفَافِ وَأَهْلِهَا
يُنْشِئُهُمْ نَبْعٌ يُخَلِّقُهُمْ زَهْرٌ،

كَتَبَهُمْ أَعْطَوْا جَدِيدًا وَطَيَّبُوا،
كَزَهْرِهِمُ الدُّنْيَا، وَكَالزَّهْرَةِ اخْضُرُوا...

تُغْنِي هَدُوءَ «الدُّنْيَا» ؟ عَفْوَكْ: أَهْلُهُ
إِذَا بَعَثُوا فَجْرًا أَهْلٌ لَهُمْ فَجْرٌ !

جَلَلْتُكُمَا عَنْهَا فَلَا «الدُّنْيَا» هَادِيٌّ
وَلَا أَنْتَ، إِلَّا أَنْ يَلْفُكُمَا السَّرُّ.

أَسْأَلُ: «هَلْ حَارَتْ بِغَيْرِ نُهَاكُمَا
عَقُولٌ، وَهَلْ جَاهَى بِمِثْلِكُمَا الْعَصْرُ؟

وَنَهَرُ الرِّجَالِ الْمُتَهَيِّ خَلْفَ أَنْجَمٍ
وَأَنْتِ تَخُطُّ النَّهْرَ، أَيُّكُمَا النَّهْرُ ؟

*

حَبِيبُكَ، يَا غَزَّارَةَ مَا تَجَاهَرْتِ،
وَمَنْ قَالَ: صَوْتُ النَّايِ أَجْمَلُهُ الْجَهْرُ ؟

تَمِيلُ عَلَى الْقِرطَاسِ تَأْمُرُهُ: أَمْتِثِلْ
غَمَاماً، فَيَسْخَى لَيْسَ يَجْرَحُهُ الْأَمْرُ،

إِحْالُ الرُّقَاعِ الْخُضْرَ بِثَنِّ حَبَائِبِ
إِلَيْكَ... فَهَا عُنُقٌ يَضِجُ وَهَا خَصْرٌ !...

وَأَنْتِ حَوَالِيَهُنَّ كَفَّ عَطِيَّةً
كَمَا اللَّهُ إِنْ قَطَرًا أَرَادَتْ هَمَى الْقَطَرِ !

وَأَنْتِ قَصَفْتَ الْغُصُونَ ثَلَاثَ
غُصُونٍ عَلَيْهِنَّ الطُّيُورُ لَهَا كُرٌّ.

تُعَاتِبُ أَنْتَ الشَّيْخَ وَالرَّيْحَ، بَاعِداً
عَشِيّاً، فَتَبْكِي الرِّيحُ وَالشَّيْخُ يَصْفَرُ !

أَلَا أَيْنَ مِنْكَ الصَّاحِبُونَ ؟ هَزَزَتْهُمْ
بِقَوْلٍ وَبِعُضِّ الْقَوْلِ نَاهِدَةً بِكَرٍ.

لِطَرَفَةٍ جَفَنٍ مِنْ حَيَاهَا غَضِيضَةٍ
يَذِلُّ الَّذِي فِي الْقَصْرِ أَوْ يَقَعُ الْقَصْرُ،

وَاللَّفْظَةُ الْمَكْنُونُ سِرٌّ جَمَالُهَا
نَفَازٌ كَهَذَا الْمَوْجِ جُنٌّ بِهِ الْبَحْرُ.



تَقْصُرُ ؟ ... ارْتَفَقَ بِالشَّعْرِ، أَنْتَ بَدَعْتَهُ
كَلَامُكَ زَهْرُ الْجَمْرِ لَوْ يُزْهِرُ الْجَمْرُ.

تَخْطُ كَمَا خَطَّ اللَّعُوبُونَ بِالْعُلَى
عَلَى أَنْمُلَاتٍ مِنْهُمْ اغْتَرَبَ الْفِكْرُ،

يَحْرُورُونَ كَوْنًا، يَنْزِلُونَ بَآخِرٍ
وَكُلٌّ عَلَى كَفٍّ... فَقُلْ بَعْدَ مَا السَّحَرُ !



إِلَيْكَ بِنَفْحِ الْأَرْزِ جَمًّا بَعْثُهُ،
وَعُلُقَ عُودُ اللَّهِ فِي الْأَرْزِ. فَالْتَقِرُّ

وَشَيْكَ. كُنِ الْعَوَّادَ وَأَضْرِبْ بِرِيشَةٍ
عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ مِثْلِهَا الْعَمْرُ وَالْعَمْرُ.

وَأَنْتَ مِنَ اللَّائِي يُجْبُونَ. إِنْهُمْ
عَلَى أَرْضِكَ الْمِعْطَاءِ، أَفْدِيهِمْ، كُثُر.

وَمِنْ عِنْدِنَا الْمَجْدُ الَّذِي الْمَجْدُ بَعْضُهُ
إِلَيْهِ رَنَا مَنْ أَلْهِمَ السَّفَرُ، وَالسَّفَرُ،

فَلَمْ يُعْطَهُ مِنْ سَارِ بِالشَّعْرِ لَاهِيًا
وَلَكِنَّمَا مَنْ جَاءَ يَقْصِدُهُ الشَّعْرُ.

الذكريات

بيالي مررت اليوم، فَلَيْشْتَعِلْ بالي،
كَأَنَّكَ قَصَفُ الرعد في الجبل العالي،

كَأَنَّكَ لَوْنٌ في الطبيعةِ آخِرٌ،
أَوْ أَسْمٌ كَطَيْرِ الرُّخِّ أَوْ شَجَرِ الضَّالِّ.

• ليلة تذكّر الرفاق عمر فاخوري.

لِخَاطِرَةِ أَغْرَيْتَهَا وَحَبَسَتْهَا
بِلَفْظٍ، بَكَى غَيْرَانِ لَوْلَوْ لَأَالَ.

إِذَا الْقَوْلُ مَا شَدَّ الرِّيحَ، وَلَا شَدَا
عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عُصْفُورُهُ الْغَالِي،

وَلَمْ يَسْتَرْخِ فِيهِ الزَّمَانُ، وَتَشْتَبِكُ
نَجُومٌ بِأَزْهَارٍ، كَمَا الْمِعْصَمُ الْحَالِي،

فَلَا كَانَ!... إِنْ الْقَوْلُ مَا آهَ مِنْ هَوًى
وَشَعْشَعٍ، قُلْتَ الْأَرْضُ مُسَّتْ بِزِلْزَالٍ.

✱

حَبِيبُكَ تُغْنِي الْعَصْرَ، تُطْلِقُهُ عَلَى
الرِّيحِ، تُنْمِيهِ بِإِكْثَارِ إِقْلَالٍ،

تُلْقِيهِ كَيْفَ افْتِنَانُ أَصَابِعٍ
بِمَجْدٍ، وَكَيْفَ الْمَجْدُ تَحْطِيطُ أَغْلَالٍ.

فلا صَعَّرَتْ أَرْضٌ، ولا قَلَّ شَعْبُهَا،
ولكنها الدنيا لِجَوَابِ آمال !

لِمَنْ بَرِمَتْ مِنْهُ يَدَانِ رماهما
بأن تغدوا في السكب دفقة شلال !

فلا شيء مما طاب شيئاً ولعبة
تشيل الرُّبى، إلا تأتي لشيئال !



كفى أن تُحِبَّ الحُسْنَ، مقلِّعك السنَى،
تُقصَّبُ: باني الضوء بانٍ لِأجيال.



ومَنْ مارَدُ الباب الذي قلَّته ازدهى
وطيَّبَ مرصوداً كما الماء في الآل ؟

يقولونه حُلماً يُحَيِّبُ ؟ ويحهم !
أما واهمَّ بالحبِّ أشرف من سالٍ ؟

مُقامُكَ في أرجائهم كان هَتَفَةً
بموتى، وكان المستجير بأظلال:

تَخَالَهُمْ دُنْيَاكَ، إِذْ هُمْ بِرَيْقِهَا...
وَالْهَى، إِذْ هُمْ تَمَائِلُ صَلْصَال...



سَيَبْقَى لَكَ النَّسْجُ الَّذِي أَنْتَ رَبُّهُ،
وَلِلشَّمْسِ نَسْجٌ كُلُّ مَا دَوْنَهُ بِالِ.

غُبَارٌ عَلَى الثُّوبِ الَّذِي أَنْتَ خَالِعٌ
لِعَيْنِهِ عُرُوشُ الْأَرْضِ تُشْرِى بِمِثْقَالِ.

وإنْ أَنْتَ، يَوْمَ الرَّصْدِ، مَا كُنْتَ مَارِداً
وَبَاباً، فَمَا تَحْزَنُ وَمَا فَضُّ أَقْفَالِ؟



سَلَامٌ عَلَى الْغَزَاةِ احْمَرَّتْ وَجْهَهَا
وَلَكِنْ كَمَا الْوَرْدُ الْوَدِيعُ بِإِدْلَالِ،

أَقُولُ: أَنْزِلِي، يَا بَعْلَبُكَ، أَنْزِلِي مَعِي
الزَّمَانَ خَطَطْنَاهُ كَمَا الْوَرْدُ فِي الْبَالِ !

وَمَنَا الَّذِي تَأَقَّتْ إِلَى وَجْهِهِ الْعُلَى،
وَمَنَا الْعُلَى فَلْيُمَحِّحِ الطَّلُّ الْبَالِي.



مِنَ الْغَيْبِ، فَوْقَ الْغَيْبِ، وَقَعَ حَوَافِرُ
تَطْلُعِ ! حِصَانٌ رَاحَ يَغْوِي بِخَيَالِ !!

نَهْرُ الذَّهَبِ

حَلَمْتُ وَكَانَ الضُّحَى لَمْ يُفَقْ
بَانَ وَسَادَكَ زَنْدِي الْقَلَقُ،

وَفَوْقَ مَحْيَايَ، شَعْرُكَ نَهْرٌ
مِنَ الذَّهَبِ الْمُنْدَرِي الْمَنْدَقِ،

أَهْيَ مَرَّةً، وَمَرَاراً أَضِيعُ
كَمَا وَرْدَةً فِي الْعَبِيرِ الْعَبِقِ.

هُوَ يَنَّاكَ، يَا حَلَمٌ، هَذَا الْمَسَاءُ،
سَتَقْسُو، وَبَعْدَ غَدٍ، سَتَرَق...

أَنَا مَرَّ أُسْبُوعٌ عَمْرٍ وَلَمَّا
أَمَرَّ بَدَارَتَهَا أُسْتَرَق

إِلَى حُسْنِهَا، قُلْتُ نِي بُلْبَلِ الْأَيْكِ
شَرْدَهُ عِنْدَلِيبٍ نَزَقَ،

تَجِيءُ الْفَرَاشَاتُ مُحْلُولِيَاتٍ
إِلَى حَيْفِ شُبَّاكِي الْمُنْغَلَقِ،

فَأَغْمَزْهَن: أَمِنْهَا ارْتَزُقُنَّ ؟
بَشَّرْتَنِي أَنِّي مُرْتَزَق...

فَرَاشَاتُ، أَيُّ تَمُرٍ بِشَعْرِ
وَلَيْسَتْ تَوْدُ بِهِ تَحْتَرَق ؟

أنا ليتها كنتُ في السُّرْب ! كنت
تأثُّيت عندَ البياض اليقق...

وما لامست أنملي ذلك النحر،
كلّا ولا الناهد المنطلق...

ولكنني كنت مُت بعينين،
خَمُرُ السماءِ إذا يندلق...

الكلامي عازب الكلام

كلامي على ربّ الكلام هَوَى صَعْبُ،
تهَيَّبْتُ ! إِلَّا أَنِّي السِّيفُ لَمْ يَنْبُ.

وَرُبَّ جَمَالٍ رُحَتْ تَرْسُهُ طَيْفُهُ
تَصْبَأُكَ كَالسِّيفِ اسْتَجَابَ لَهُ الضَّرْبُ،

• في احتفال بعلبك بعاشوراء.

وما لُغَةُ الأَقْلَامِ من لُغَةِ القَنَا؟
اثنتان؟ سَأَلْتُ الحُسْنَ: ما الجَفْنُ؟ ما الهُدْبُ؟

لَيْطَرَبُ لا إِلاَّ لِفَزَّارَةٍ جَرَتْ
كَمَا الفَرَسُ الذَّهْمَاءُ طَيِّبُهَا النِّهْبُ،

إِذَا صَهَلَتْ غِبَّ التَّلَاحُمِ رَدَّهَا
أُخُو مِرَّةٍ فِي الدَّوِّ من وَقَعِهِ رُغْبُ،

يَذُودُ عَنِ الذَّمَّاتِ لَيْسَ يُبِيحُهَا،
بِهِ الشَّرْقُ مَدُّ الصَّوْتِ فَالْتَفَتِ العَرَبُ.



حَبَبْتُ عَلِيًّا مُذْ حَبَبْتُ شِمَائِلِي،
لَهُ اللُّغَتَانِ: القَوْلُ يَشْمَخُ والعَضْبُ،

يَهْذَاكَ يُعْلِيهَا، بِهِذَا يَزِيدُهَا
أَيَكْبُو؟ وَلَكِنَّ الْأَصَائِلَ لا تَكْبُو!

لَأَشْرَفَ مَنْ قَاسَى، وَأَسْمَحَ مِنْ سَخَى،
تَقُولُ عَلَى رَمْلِ الْبَوَادِي لَهُ حَذَبٌ.

بَلَاغُتُهُ اللَّيْلَاءُ أَسُّ أَرِيكَةٍ
فَكَيْفَ بِمَا أَبْلَى الَّذِي وَثُبُهُ الْوَثْبُ؟

✱

وَهَلْ، يَا تُرَى، هَلْ قَادِرٌ خَنْجَرٌ عَلَى
حَبِيبٍ فَرِنْدٍ؟ بَكْنِي وَابْكِي، يَا حُبَّ!

تَخَيَّلْتُهُمْ، أَهْلَ النَّهْيِ مِنْ أُمِّيَّةٍ،
وَمَنْ إِنْ عَدُوٌّ ضِيمٍ وَاسْتُصْرَخُوا هَبُّوا،

رَمَوْا عِنْدَ سَمْعِ النَّعْيِ شَهْمَ سِلَاحِهِمْ
وَقَالُوا: «لِهَذَا الشَّهْبِ نَكَّسْتَ الشُّهْبَ!»

✱

تَخَيَّلْتُهُمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ وَقَدْ سَمَا
سَمَاوِيُّهُمْ: «بَلِّغْ!»، فَمَزَّقَتِ الْحُجُبُ،

فقال: « أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَلْيَكُنْ ... »
وأكملها. يا طيب ما اكتمل الذُّرْب !

وكانت إماماتٌ وكانت مطارحُ،
مَحَطُّ نُزُولِ اللَّهِ أَوْ يَقْرُبُ الْقُرْبُ،

ففي كُلِّ أَرْضٍ بَعْدُ بَيْتٌ مَطِيبٌ
على اسمِ الأُولَى في الكُتُبِ لَيْسَ لَهُمْ شَطْبُ

وَمَنْ لَا يُحِبُّ الْبَيْتَ، سَيْفٌ عَلَيْهِ
جَمِيلٌ، وَذَاكَ النَّهْجُ كَوْنُهُ عَذْبُ ؟

كَلَامٌ كَمَا الْأَرْبَابُ فِي طِيلَسَانِهَا،
أَلَا فَلْتَدَاوِلُهُ وَتَرْتَعْشِ الْكُتُبُ !

سائِليني

سائِليني حين عَطَّرْتُ السَّلَامَ:
كيف غَارَ الوردُ واعتَلَّ الحَزَامُ،

وأنا لو رُحْتُ أَسْتَرْضِي الشَّدَا
لَانْتَنَى لُبْنَانُ عِطْرًا، يا شَامَ !

ضِفَّتَاكِ ارْتَاخَتَا فِي خَاطِرِي،
وَاحْتَمَى طَيْرُكِ فِي الظَّنِّ وَحَامَ.

تَقْلَةً فِي الزَّهَرِ أَمْ عُنْدَلَةً
أَنْتِ فِي الصَّخْرِ وَتَصْفِيقُ يَمَامَ؟

أَنَا إِنْ أَوْدَعْتُ شِعْرِي سَكْرَةً
كَنتِ أَنْتِ السَّكْبُ أَوْ كُنتِ الْمُدَامَ.



رُدَّ لِي مِنْ صَبَوْتِي، يَا بَرْدَى،
ذَكَرِيَّاتِ زُرْنَ فِي لَيْلَا قَوَامَ،

لَيْلَةَ ارْتِاحِ لَنَا الْحَوْرُ فَلَا
غُصْنٌ إِلَّا شَجِرٌ أَوْ مُسْتَهَامَ،

وَتَهَاوَى الضَّوْءُ إِلَّا نَجْمَةً
سَهَرَتْ تُطْفِئِي أَوَاماً بِأَوَامَ،

سَأَلْتَنِي مِنْ دَلَالٍ قُبْلَةً
يُعَصِّرُ الدَّهْرُ بِهَا كَأْسَ غَرَامَ،

وَارْتَمَتْ يَكْسِيرُ مِنْ هُذْبٍ لَهَا
مُسَهَّبِ الطُّولِ حِيَاءٌ وَاحْتِشَامُ،

وَجِئْتَ صَفْصَافَةً مِنْ حُسْنِهَا
وَعَرَى أَغْصَانَهَا الْخُضْرَ سَقَامُ،

فَحَسَرْتُ الشَّعْرَ عَنْ جَبْهَتِهَا
أَسْأَلُ الْحُسْنَ أَفِي الْأَرْضِ أَقَامُ؟

وَتَأْتِيْتُ أَمْلِي خَاطِرِي
قَبْلَ أَنْ يَحْجِبَهَا ضَمُّ الْهُيَامِ،

أَوْ لِيَخُوفِي بِي عَلَى ثَانِيَةٍ
سَوْفَ تَمْضِي فَمَتَى الْعُمْرُ حُطَامُ،

لَمْ تَدْغْ لِي شَقْوَةً أَحْيَا بِهَا
وَرَنْتَ يَمَلًا عَيْنِهَا ابْتِسَامُ،

أوماث لي... فأمحي كل سني
مرهق، غير فم عذب الملام،

وإذا قبضتْنا فر إلى
عالم أبهى وسكنى في منام.

تقف النجمة عن دورتها
عند ثغرين وينهار الظلام.



طوفي بي، ذكرياتي، طلقه
واغنمي أطياب ذباك الوئام،

وأمرحي بين دمشق وجمي
تلكم الصفحة من رفعة هام،

خطها صيد أباة غصبا
حقهم، والحق غصب أو حمام،

غَالَبُوا السَّيْفَ عَرِيقاً حَذُّهُ
فَانْتَشَى السَّيْفُ وَفِي الْحَذِّ احْتِرَامُ.

هذه « الغوطَّة » أوفى تُرْبَةً
بهمُ أم جبل « التَّنْبُك » القُدَام ؟

كَمْ فَتَى بَاتَ فَرَاشاً سَرَجُهُ
نَامَ وَالْكَفُّ عَلَى سَيْرِ اللَّجَامِ !

وَفَتَاةٌ خَلَعَتْ أُسْوَارَهَا
تَشْتَرِي حَلِيّاً لَهَا غَيْرَ كَهَامٍ !

وَشَجَاعٍ لَمْ يَسْغِهِ عُمُرُهُ
رَاحَ يَحْيَا سَعَةَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ !

(١) من كَثَمَ السَّيْفُ أَي كَلَّ.

أَسْدُ الثَّوْرَةِ ! وَسُدَّتُمْ ثَرَى
هُوَ مِنْ مَشْرِقِنَا الْأَرْضُ الْحَرَامِ،

طَيَّبَتْهُ مِنْ جَنُوبٍ نَفْحَةً
عَبَقَتْ مِنْ ضَارِبٍ فِي الْأُفُقِ، سَامِ،

جَبَلٌ " يَجْمَعُ فِي أَصْلَابِهِ
دَعَاةَ السَّفْحِ إِلَى عِزِّ السَّنَامِ،

الثَّرَابَاتُ بِهِ أَهْلُ وَفَاً
وَمِحْكٌ يَزِنُ الْحُرَّ الْهُمَامِ،

وَلَهُ أَهْلُونَ إِنْ يَنْتَسِبُوا
يَشْمَخُ الرُّمَحُ وَيَعْتَزُّ الْحُسَامِ.

(١) جبل الدروز.

قُلْ لِذَاكَ اللَّيْثُ^(١) فِي آجَامِهِ:
وَاحِدٌ نَحْنُ إِذَا الشَّامُ تُضَامُ،

سَائِلِ الْأَبْطَالَ: هَلْ تُنْسَى لَنَا
رِفْقَةُ الْأَخْذِ بِأَغْرَاضِ جِسَامِ؟

وَلَطَى الْجِرْمَانِ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ
غَفْوَةٍ قَمَرَاءَ فِي تِلْكَ الْخِيَامِ؟

وَأَنْتَقَاءُ الْمَوْتِ ضَنْبًا يَعْلى
وَأَحْيَايُنَ اشْتِيَاقاً لِأَقْتِحَامِ؟

حُرُمَاتٌ بَيْنَنَا أَنْقَى سَنَى
مَنْ ذُرَى الْحَرَمُونَ أَوْ طَهْرَ الْعِمَامِ،

(١) سلطان الاطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقِينَا بِالدَّمِ الْمَجْدَ مَعاً
ومعاً خضنا المجالاتِ الكِرامَ،

وعَهِدْتُ السِّيفَ فِي سُلْطَانِهِ
نَاصِغَ الْإِفْرَنْدِ لَمْ يَذْمُوهُ ذَامَ،

شِيمَةَ اللَّيْثِ انْتَشَى مُدْخِرُاً
صَوْلَةَ الضَّارِي لِيَوْمِ ذِي جَهَامِ.



يَا سَفِينَ الْمَجْدِ، رَدِّي مَا انْطَوَى
وَاقْحَمِي الْأَمْوَاجَ حِينَ الْبَحْرِ طَامِ.

يُسَلِّسُ الدَّهْرُ قِيَاداً لِلَّذِي
يَتَحَدَّاهُ سَهَاماً بِسَهَامِ.

جَدَّدِي مَا وَسِيعَ الْهَظْمِ فَمَا
بَسَوَى الْهَظْمِ لِبَانِيْنَ اعْتَصَامِ،

وَأَلْفِي الْمَرَّ بِسَطْحِي الْمُنَى
لَيْسَ يُرْضِي النَّسْرَ مَا يُرْضِي الْهَوَامَ،

الْعَبُودِيَّاتُ مَثَى عِنْدُنَا:
فِي الْحَمَى غَازٍ وَفِي الْعَقْلِ قَتَامُ،

تِلْكَكُمْ دَالَتْ وَهْذِي لَمْ تَزَلْ
سُوسَةً تَبْرِي فَتَفَتَّتْ الْعِظَامُ.

آه ! مَنْ لِي بِغَدٍ أَدْنَى الْإِلَى
سَلْسَلِ الْحُلُمِ وَأُبْهِى مِنْ مَرَامِ؟

تَطْأُ الشَّامُ بِهِ مُخْتَالَفَةً
سَاحَةَ الْمَجْهُولِ أَوْ شَأْوَ الْأَمَامِ،

الْحَضَارَاتُ هُنَا مِنْبُتُهَا
شُدَّتِ الدُّنْيَا إِلَى هَٰذِي الْأَكَامِ.



ظَمِئَ الشَّرْقُ، فَيَا شَامَ اسْكُبِي
وَامْلَأِي الكَأْسَ لَهُ حَتَّى الْجَمَامِ !

أَهْلِكَ التَّارِيخُ مِنْ فَضْلَتِهِمْ،
ذَكَرُهُمْ فِي عُرْوَةِ الدَّهْرِ وَسَامِ.

أُمُيُّونَ فَإِنْ ضَيَّقَتْ بِهِمْ
الْحَقُّوا الدُّنْيَا بِيَسْتَانَ هِشَامِ.

أَيُّ رَأْيٍ " أَنْتِ مَا نَشَأْتِ بِهِ
تَوَامَ السَّيْفِ لِفَصْلِ وَاحْتِكَامِ !

خَلَبَ الدُّنْيَا بِمَا اقْتَنَ، اهْتَفَى:
كُبَّرَ المَرْمِيُّ يَوْمَ الْحَقِّ رَامِ.

*

(١) فارس الخوري.

تَمْتَمِ الْمَجْدُ وَنَاغِي حُلْمُهُ
فَوْقَ كَفِّكَ إِذِ الْمَجْدُ غُلَامٌ،

وَهُوَ حُلْمٌ لَوْ دَرَوْا أَيْنَ انْتَهَى
لَأَتَتْكَ الْأَرْضُ حَجًّا لِمَقَامِ.

يَا طَرِيقاً مِنْ دِمَشْقٍ لَمْ يَزَلْ
لَفْتَةً الدُّنْيَا وَاجْلالَ الْعِظَامِ،

بَيْنَ تَحْمِيكَ تَجَلَّى لِلنُّهَى
مَطْلَعُ الْحَقِّ وَتَعْلِيمُ السَّلَامِ،

فَإِذَا جُدِّلَ عَنْ مُهَرَّتِهِ
شَاوَلْ وَانْكَبَّ فِي ذَاكَ الرَّغَامِ،

رُحْتَ تَلْقَى مَصْرَعَ الْعَقْلِ إِذَا
كَانَ لِلْعَقْلِ مَعَ الْحَقِّ اصْطِدَامِ



شام، يا دارَةَ نِيسانَ، سَقَت
مرجلكِ الخيراتُ في الغيثِ السَّجامِ !

عِشْتُ يَغْنَى بِكَ شَوْقِي كُلِّما
زُرْتُ، والزَّورَةُ شَوْقٌ مُستَدام،

فكأنِّي شاربٌ لَيْسَ يَعي
خَوْفَةَ القائلِ: خُذْ آخِرَ جامِ !

وتؤاسيني، إِذا حَمَلَتْها
مِنْكَ شَيْئاً، مَشْرِقاتُ النُّسام.

لَكَ قالَ الحُسْنُ مَذْهِمٌ بِهِ،
ذاتَ صَبَحٍ، ونَصْأَ عَنْهُ اللَّثام:

مَنْ أَنَا؟ أُغْنِيَّةٌ لَمْ تَكْتَمِلْ،
رُصِدَتْ... الا إِذا كُنْتَ الخِتَام،

وَأَقَاجِي نَمَتْ فِي « دُمَرٍ »
أَوَّلَ الدَّهْرِ وَمَاتَ فِي الْفِطَامِ،

فَإِذَا عَادَتْ حَيَاةً طَفِيفَةً،
مِنْ حَيْنٍ، تَجِدُ الدُّنْيَا شَامَ.

✱

أَنَا لَسْتُ الْغَرْدَ الْفَرْدَ، إِذَا
قَالَ طَابَ الْجَرْحُ فِي شَجْوِ الْحَمَامِ.

أَنَا حَسْبِي أَنَّنِي مِنْ جَبَلٍ
هُوَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْأَرْضِ كَلَامِ.

قَمَمٌ كَالشَّمْسِ فِي قِسْمَتِهَا
تَلِدُ النُّورَ وَتُعْطِيهِ الْأَنَامَ.

غَنِيَّةُ مَلَكَةٍ

غَنِيَّةُ مَكَّةَ أَهْلَهَا الصَّيِّدَاءُ،
وَالْعَيْدُ يَمْلَأُ أَضْلَعِي عَيْدًا.

فَرِحُوا، فَلَأُلًّا، تَحْتَ كُلِّ سَمَاءٍ،
يَتُّ عَلَى يَتِّ الْهُدَى زَيْدًا.

وَعَلَى آسَمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَا
بُنْيَانُهُمْ كَالشَّهْبِ مَمْدُودًا.

يا قارئ القرآن صلّ لهم،
أهلي، هناك، وطيب البيدا.



من راکع ويداه آنتسا
أنّ ليس يبقى الباب مرصوداً.

أنا أينما صلّي الأنام رأث
عيني السماء تفتّحت جوداً.

لو رملة هتفت بميدعها
شجواً لكنت لشجوها عوداً.

ضجّ الحجيح هناك فاشتبكي
بفمي هنا يا ورق تغريدا.

وأعزّ، ربّي، الناس كلّهم
بيضاً فلا فرقت أو سوداً:

لا قفرة إلا وتُخصيها،
إلا ويُعطى العطر، لا عودا.

الأرض، ربّي، وردةٌ وعِدث
بك أنت تقطف، فارو موعودا.

وجمالٌ وجهك لا يزال رجاً
يُرجى، وكلٌ سواه مردوداً.

نَسَمَتْ

نَسَمَتْ مِنْ صَوْبِ سَوْرِيَّ الْجَنُوبِ،
قَلْتُ: هَلَّ الْمَشْتَهَى، وَافَى الْحَبِيبُ،

أَشَقَرَّ، أَجْمَلُ مَا شَعْنَتِ الشَّمْسُ
أَوْ طَيَّرَتِ الرِّيحُ اللَّعُوبُ،

شَعَرَّ أُغْنِيَّةٌ قَلْبِي لَهُ،
وَجِئْتُ كَالسَّنَى عَالٍ رَحِيبِ.

أنا إن ساءلتُ: أيّ مضني؟
قالتِ القامةُ: حُبِّكَ عجيب!

مثلما السهلُ حبيبي يندري...
مثلما القمّةُ يعلو ويغيب...

وبه من برّدى تَدْفَأُهُ،
ومن الحرّمونِ إشراقَ وطيب.

ويحهُ ذاتُ تلاقينا على
سُنْدُسِ الغوطةِ والدنيا غُروب،

قال لي أشياء لا أعرفها
كالعصافيرِ ثنائي وتؤوب،

هو سَمَانِي أنا أغنيّةُ
ليتْ يدري أنّه العودُ الطّروب.

من بلادِ سكرةٍ قال، لها
تُربّةٌ نايٌّ ونَهْرٌ عندليب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

سَلِّمْ يَا ذَا السِّيفِ

شَامُ، يَا ذَا السِّيفِ لَمْ يَغِبِ،
يَا كَلَامَ الْمَجْدِ فِي الْكُتُبِ !

قَبْلَكَ التَّارِيخُ فِي ظُلْمَةٍ،
بَعْدَكَ اسْتَوْلَى عَلَى الشُّهُبِ.

سَكْرَةٌ يَوْمُكَ، مَا الْكَأْسُ
بِالْكَأْسِ دُقَّتْ ؟ مَا ابْنَةُ الْعِنَبِ ؟

لي ربيعٌ فيكِ خبائثه
ملءَ دنيا قلبي التعب،

يومَ عيناها بساطُ السماء،
والرماحُ السودُ في الهدب،

تلتوي خصرًا فأومي الى
نغمةِ الناي: ألا انتجبي !

أنا في ظلك، يا هذبهَا،
أحسبُ الأنجمَ في لعبي.



طابتِ الذكرى، فمن راجعٌ
بي كما العودُ الى الطربِ ؟

شأمُ، أهْلوكِ إذا هُم على
نوبِ قلبي على نوب،

أَنَا أَحْبَابِي شِعْرِي لَهُمْ
مِثْلَمَا سِيفِي وَسِيفُ أَبِي.



أَنَا صَوْتِي مِنْكَ، يَا بَرْدِي،
مِثْلَمَا نَبْعُكَ مِنْ سُحْبِي.

تَلْجُ حَرْمُونَ غَدَانَا مَعًا،
شَامِخًا كَالْعِزِّ فِي الْقُبِّبِ.

وَحَدَّ الدُّنْيَا غَدًا جَبَلٌ
لَاعِبٌ بِالرِّيحِ وَالْحَقْبِ !

مُرَّي

مُرَّي، يا وَاِعدَا وَعَدَا،
مثلما النِّسْمَةُ من بَرْدِي،

تَحْمِلُ العِمَرَ، تُبَدِّدُهُ،
آه ما أَطْيَبَهُ بَدَدَا !

رُبَّ أَرْضٍ من شَذَا وَندَى
وَجِرَاحَاتٍ بِقَلْبِ عِدَى

سكتت يوماً، فهل سكتت ؟
أجملُ التاريخِ كانَ غداً !

واعِدي، لا كنتَ من غضبي،
أعرفُ الحبَّ سنيَّ وهُدي،

الهوى لَحَظُ شاميةٍ
رقُّ حتى قَلَّتْه نَفْداً،

هكذا السيفُ ! ألا انغمدت
ضربةً والسيفُ ما انغمدا.

واعِدي، الشمسُ لنا كُرَّةٌ،
إن يدَّ تعبُ فنادِ يدا...

أنا حُبِّي دَمْعَةٌ هَجَرَتْ
إن تُعْذِ لي أشعلتْ بَرْدِي...

من مآثر

لا مُدُّ بِكَيْتِكَ، لَكِنْ قَبْلُ مُدِّ سَكَتِ
يِرَاعَةً لَكَ، قَلَّ الْهَمُّ فِي الْغُصْنِ،

غَصَصْتُ بِالذَّمْعِ، هَلْ فَرَّتْ بِلَابُنَا
طُرًّا، فَمَا مِنْ شَجِيٍّ بَعْدُ أَوْ لَسِنْ؟

• فِي ذِكْرِ الْاِخْطَلِ الصَّغِيرِ.

أنا الذي قال: يا شِعْرُ، ابكِه وأجذ
من قبل ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تُكُنْ !



مِنَ الينابيع، من عَيْنَيَّ صَوْتُكَ، مِن
ضَوْعِ البنفسج أضلاعُ له وَجَنِي،

سِرُّ الرنين، وهل إلَّاكَ يَفْضُحُهُ ؟
يا ناقِرَ العود مِنْهُ العودُ في شَجَنٍ !

والكونُ قُلُّهُ رنينَ الشُّعْر، قُلُّهُ صدى
لِكَفِّ رَبِّكَ إذ طُنَّتْ على الزمنِ .

ما العمرُ ؟ ما نحنُ ؟ ما هذي التي كُتِبَتْ
قوسَ الغمامِ وغُنْجَ الزنبَقِ العَرِنِ ؟

تَشْطِياتُ نجومٍ عن يدٍ فَجَرَتْ
حُيَيَّةَ الشيءِ، وجهُ الله مِنْهُ دُنِي .

فَنَحْنُ هَذُونَ، لَمَّا نُبَقَّ فِي سَفَرِ،
عَلَى الرَّنِينَ، نَجُوماً رُحَلَ السُّفَنِ.



حَبَبْتُ فِيكَ الْبَلِيلَ الْبَثَّ لَا يَسَاءُ،
لَيْلٍ غَنَى وَغَنَّا لِلضُّحَى الْحَشِينَ...

مَنْ لَا يَضِجُ، وَيُقَى الْآهَ سَيِّدَةً
عَلَى الْكَلَامِ، يُؤَاخِرُ الطَّيْرَ فِي الْفَنَنِ،

تَسْجُ التَّنْهَدِ، لَكِنْ لَا يُهْلِلُهُ
سَهْلٌ، فِي خَيْطِهِ مِنْ شَمْحَةِ الْقُنَنِ،

ضَوْءٌ خُصَصْتُ بِهِ، بَعْضُ الَّذِي احْتَفَظْتُ
بِبَعْضِهِ الشَّمْسُ إِذْ هَلَّتْ عَلَى عَدَنِ.



قَرَأْتُ شِعْرَكَ، مَا أُمِّي تَهْدُهُنِي؟
تُحْكِي حِكَايَةَ بِنْتِ الرِّيحِ وَالْفَطِينِ...

أَحَبُّهَا لَمْ تَزَلْ فِي قَلْبِهِ خَبْرًا
وَلَمْ يَجُنْ أَنْ عَيْنِهَا... وَلَمْ تَجُنْ...

شَقْرَاءُ شَقْرَاءُ قَلَّتِ الصَّخْرُ مَسْكِنُهَا
قَدْ حَدَّثَتْهُ بِهَا عَصْفُورَةُ الْوَسَنِ،

فَهَبْ، إِغْفَاءُ الْعَيْنِينَ تُسْكِرُهُ،
يَقُولُ: لَا تَقْوَى، يَا حُلْمِي، وَلَا تَهْنِ،

إِبْنُ الَّذِي أَنْتَ ! لَا أَبْهَى لِمَبْتَهَجٍ
مِنَ السَّعَادَةِ لَمْ تَخْشَنْ وَلَمْ تَلْنِ.

وَقَالَ: هَلْ هِيَ مَا قَالَتْ مُحَدَّثَتِي،
وَمَا تَمَايَلُ بَيْنَ السَّرِّ وَالْعَلَنِ ؟

خَطُوطُ قَامَتِهَا فِي الْكُتُبِ مَا قُرِئَتْ
لَكِنَّا اشْتَعَلَتْ فِي بَالٍ مُفْتَتِنٍ.

فِي ظِلِّ مَجْدُولَتَيْهَا الْعَمُرُ... فِي فَمِهَا
شَطْرَانِ لِلْقَمَرِ الْعَالِي عَلَى الدُّجَنِ.

سَجِينَةُ الصَّخَرِ، هَلْ إِلَّا غَلَاثُلُهَا
سِجْنُ الْجَمَالِ؟... أَلَا، يَا رِيشَتِي، انْسَجِنِي،

لَعَلَّ أَنْ تُلْهِمَنِي كَيْفَ أَبْلُغُهَا،
وَكَيْفَ أَخْطُفُهَا مِنْ قَبْضَةِ الْحُسْنِ،

أَشْجُ صَحْرًا، أُرِي الْأَزْمِيلَ مَا لُغْبِي،
أَعْيِي الصُّعُوبَاتِ، أَغْرِي عُقْدَةَ السَّنَنِ،

حَتَّى إِذَا التَّمَعْتَ غُرًّا مَلَامُحُهَا
هَتَفْتُ أَجْزَعُ: لَا حُطِّمْتُ، يَا وَثْنِي...

مَا أَفْتَنَ الْأَخْذَ مِنْ شَذْقِ الرَّدَى، وَيَدُ
تَهُمُ بِالْحَلْقِ، تَرْمِي الرُّوحَ فِي الْبَدَنِ !

ولا عَلَيَّ أَقُولُ... أَشْتَدُّ يَا ظُفْرِي
حَظْمٌ وَحُطٌّ الْغَوَى، صُنْهَا وَلَا تَصْنِ...

غامرت؟ أَكْمِلْ. لك الكاسات، أَطْيِئْهَا
ما قِيلَ سُمًّا ولم تُحْفِلْ ولم تَزِنْ.

وكان أن نالها ذِيَالِكَ الْفِطْنُ
الْكِسَارُ لِلْجَلْمَدِ، اللَّعَابُ بِالسُّنَنِ!...

عروسه هي وافت أم قصيدته؟
فديت أمي نضت سيراً ولم تُبِنْ!



من شاعِر؟ مَنْ تَظَلُّ الرِّيحُ دَارَتُهُ
ترمي بأبراجها في الأفق لم تُشْنِ،

حجارها شرف! فاسمَعْ تنفُسَهَا
بالنبْل، قلت: بِهِ قَبْلَ الْجَمَالِ عُنِي.

أَكِيدُ مِنْ هُنَا، مِنْ مَقْلَعٍ وَقَعَتْ
عَلَيْهِ رِيًّا غَصُونِ الْأَرْزَةِ اللَّدُنِ.

اللَّهُ نَحْنُ ! أَمَا نَحْيَا لِأُغْنِيَهُ،
نَشْوِي بِهَا لَفَتَةُ الْعُقْبَانِ فِي الْوُكُنِ ؟

إِنْ شَدَّنَا الْبَحْرُ لَا مَلَانَ بَعْدُ بِنَا
تُفْرِغُهُ مِنْهُ أَنْ آسَكُنْ أَوْ بِنَا أَنْسَكِينَ !

جِبَالُنَا هِيَ نَحْنُ : الرِّيحُ تَضْرِبُهَا
تَقْوِي، وَمَا يُعْطِي قَصْفُ الرَّعْدِ نَحْتَرِنُ ،

عَشْنَا هُنَا لَا نُهَمُّ، الْفَقْرُ مَرٌّ بِنَا
وَمَرٌّ مَنْ شَبَّرُ أَرْضٍ غَرَّةً فَفَنِي ...

لِلْفَقْرِ قَلْنَا : اسْتَرْخِ، لِلْمُسْتَبَدِّ : أَشْخِ،
غَدًا عَلَى الرَّمْلِ لَا يَبْقَى سِوَى الدَّمَنِ ،

وَيَأْخُذُ الرَّفْشُ فِي جَمْعٍ ... هُنَا يُخَوِّدُ ...
هُنَا أُسَامِيٌّ ... فَادْفِنِ، رَفْشُ، وَانْدَفِنِ ...



غَنَيْنَ غَنَيْنَ، يَا كَاسَاتِ، قُلْسَنَ لَهُ:
مَاتَ لَنَا الْحُمْرُ وَالْعَنْقُودُ فِي حَزَنٍ.

الْحُبُّ خَمَشَ خَدًّا وَاشْتَكَى وَبَكَى،
وَاسْتَوَحَشَ الْقَمَرُ الرَّانِي فَلَمْ يَرِنِ.

تُمْرُ بِالْأُذُنِ الْآهَاتُ تَسْأَلُهَُا:
أَنْحَنُ، مِنْ بَعْدِهِ، الْآهَاتُ لِلْأُذُنِ؟

غَنَيْنَ غَنَيْنَ ... قُلْنَ: الْمَجْدُ فِي يَتِيمٍ،
شِعْرٌ بَلَا الْمَجْدِ رَايَاتُ بَلَا وَطَنِ.

مَنْ لِلْعُلَى؟ لِلصَّدَارَاتِ الْعُلَى؟ ... أَبَدًا
تَبْقَى الْكِرَامَةُ بَيْنَ النَّاسِ فِي غَبْنٍ؟

غَنِينٌ غَنِينٌ... صَوْتِي ضَاع... بَاتَ صَدْيٌ...
كَالْحِصْنِ دُكَّ وَظَلَّتْ هَيْبَةُ الْحِصْنِ !



إِنِّي لِأَجْرَحُ، يَا كَاسَاتُ، يَا دِيمِي،
أَنْ يَشْمَتَ الْمَوْتُ بِالْبَاقِينَ كَالزَّيْنِ !

حَقًّا سَيَغْدُو كَذْمُ لَوْجٍ بِمِعْصَمِهَا
حَسَنَاءُ لَوْلَاهُ لَمْ تُشْرِقْ وَلَمْ تَكُنْ ؟

عَتَبْتُ، رَبِّي، عَلَيْكَ !... الشُّعْرُ سَيُدُّهُ
مَاتَ ! أَمْرُ الْمَوْتِ لَا يَقْهَرُ وَلَا يَجْنُ !

أَبَى عَلَيْهِ أَنَا تُبْلِي أَصَابِعُهُ
مَنْ عَنْ أَصَابِعِهِ السَّخَرُ انْجَتَى فَجْنِي.

(١) يضرب.

غَنِينٌ غَنِينٌ... يا كاساتُ، يَذْبَحُكُنَّ
الشَّوْقُ... غَنِينٌ... إِنْ الشَّوْقُ مِنْهُ ضُنِي!

أَلَوْذُ بِالْقَبْرِ مَا أُدْرِي أَعْرِفُهُ؟
أَمَّا مَحَتْ نَقْشَتِيهِ دَمْعَةُ الْمُزْنِ؟

أَثُورُ! آخُذْ بِالصُّلْبَانِ مِنْ غَضَبِ،
أَرْدُهْنِ وَأَغْوِ أَسِيفاً وَقُنِي...

يَمُرُّ فِي خَاطِرِي رَفْطُ الرِّجَالِ مَضُوءاً
وَمَا مَضُوءاً تُرَكَاً لِي إِرْثَ مُؤْتِمِنٍ،

لِهُنَالِكَ هُمْ سَيْفٌ، أَنَا لِهِنَا!
أَفِي بِمَجْدٍ وَبِي صَرَّخُ الْوَفَاءِ بُنِي.

«رُدِّي جَمَالَكَ»، يَا دُنْيَا، أَقُولُ مَعَ
الْأَبْطَالِ، «غُرِّي سِوَايَ» الْيَوْمَ وَأَدَّهْنِي!...

(١) الكلام للامام علي.

هَمْ يَذْنُقُونَ، وَهَمِّي النَّارُ أُشْعِلُهَا
مِنْ كِسْرِ عَظْمِي وَإِنْ يَنْقُذَ فَمِنْ كَفَنِي...

ما المأل؟ ... قَوْلُهُ « لَا » ... وَاللَّهُ الْبَسُّهُ
بِهِ غَنِيْتُ وَغَيْرِي بِالثُّرَابِ غَنِي.

المعلم

قرأت كتابَ الكونِ سطرًا محاسنًا،
مُعلِّمٌ، عُدْ فاكْتُبْهُ أَجْمَلُ ما يُقْرَأُ !

أصابعُكَ استولت على العقلِ فازدهى
تُباشِرُهُ نثرًا فترْكُهُ شِعْرًا...

وتلَتِ الدُّنيا وقد غُلِّقت على
فمٍ لك قال السَّحَرُ أو أَبْطَلِ السَّحَرَا

لَأَنْتَ بِيَالِ اللَّهِ كُنْتُ، بُعِيدَ مَا
رَمَى الْأَرْضَ عَنْ كَفِّ وَقَالَ: اشْتَهِيَ أَمْرًا !

فَحَارَتْ: كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ يُلْفُهَا،
وَلَا يَتَغَاوَى الْجَهْلُ يَرْمَقُهَا شَرًّا،

فَقَالَ: أَنْطَقِي، إِمَّا تُلْعِشْتِ أَقْلَقْتُ
بِيَالِي أَفَازِيرٌ وَأَعِمْدَةٌ سَكْرَى،

مِنْ الطَّرَفِ اللَّائِي سَأَخْلُقُ، يَوْمَ مَا
سَأُرْتَاكِ، وَالْأَفْكَارُ تَغْمُرُنِي تُثْرَى...

أَمَرْتُكَ فُكِّي عُقْدَةَ الصَّمْتِ وَابْسِمِي
لِوَجْهِهِ، لَقَفَرْتُ أَنْتِ مُبْتَلَعٌ قَفْرًا !...

عَلَى أَنَّهَا الْأَرْضُ اسْتَمَرَّتْ عِيَّةً،
فَمَدَّ إِلَيْهَا الْخُمْسَ يَرْسُمُهَا ثَقْرًا،

ورأساً، وبعضاً من خيال أميرة،
لها يومٌ عدَّ الحُسنُ يُؤبه أو يُدرى،

فما هي أن ضاءت وغنى جمالها
لها وروى، حتى أفاق كمن ذكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيه قلتها
كما ستكون الكأسُ إذ تمتلي خمرًا،

ولامس أذن الله هاتِفُ قلبها:
— بلى، ربُّ، هاني أشتهي القلمَ الحرًّا،

ألا اخلقه، لا كالناس، هم ثريّة رضى
تفى، وهو غراسٌ كما يدك الحَضرا،

عليّ جبين، حازمُ اللحم، أبلج،
يُمرُّ به نسرٌ فيعرفه نَسرا.

تصوُّرُتُهُ والرَّوضَ. ما بينَ زَهْرِهِ
وَضِحْكَةِ عَيْنٍ؟ إِنَّهُ الْأَمْلُ افْتَرَا...

تصوُّرُتُهُ والريِّحَ. ما بينَ عَصْفِهَا
وَقَطْعٍ بِمَعْنَى؟ إِنَّهُ سَلَكُكَ الدُّرَّا...

تصوُّرُتُهُ والشمسَ. ما بينَ بَزْغِهَا
وَهَشَّةٍ وَجْهِ؟ إِنَّهَا الصَّلَّةُ الْكُبْرَى.



مُعَلِّمٌ، لَمْ الزَّقْرَقَاتِ وَحُطَّهَا
على فمِ طفلٍ شَيْئُهُ النَّقْلَ وَالْكَرَّا.

بِمَلَأِ جَنَاحَ لَمْ يَطِرْ، إِنَّمَا رَنَا
إِلَيْكَ، فَأَعْدَدْتَ انْطِلَاقَهُ الْحَرَّى،

وَشَفَّتْ لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِرَ شَمُوخَهُ
من الْأَرَزْ غَنَاءُ الزَّمَانِ إِذَا مَرَّا،

وَشِئْتَ لَهُ أَنْ يَجِبَهُ السِّيفَ بِأَلِهِ
فِيدْرِكَ أَنْ الْبَالَ يَفْرِي وَلَا يُفْرِي.



مَنْ الْعَلَمُونَا ؟ مَنْ يَكُونُونَ عَزْمَةً
وَقَرَعًا لِبَابِ الْمُسْتَحِيلِ خَفَى السَّرَّاءُ ؟

رِيَّاحُ ! بَلَى، هُم كَالرِّيَّاحِ مَهَابَةٌ،
عَلَى أَوْجِهِ الْأُخَاذُ قَدْ حُفِرُوا حَفْرًا،

وَتُعْطِيكَ عَيْنٌ مِنْهُمْ قَلَّتْهَا يَدًا،
وَتُعْطِيكَ تُعْطِي بِسْمَةٍ مَا التَّوْتُ صَفْرًا،

بِهَا مِنْ مَحْيَا الْوَالِدِ الصَّعْبِ لَهْفَةً
تُهِيبُ أَنْ أَقْطِفْنِي وَلَا قُطِفَكَ الزُّهْرَا !

وَيُعْطِيكَ نُطْقُ حَامِلِ الْعِلْمِ مَا انْتَهَى،
وَمُبْتَدِعُ الْأَفْكَارِ فَجَّرَهَا غَمْرًا...

وتعطيك، إن تُشْلَخَ على اللوح، أُنَمَلْ
وتُكْتُبْ ما الدُّنيا... وتُكْتُبْ ما الأخرى...

خَوَاطِرُ قُلُوبِ الْخُصُورِ تَمَایَلَتْ،
وَقُلُوبُنَّ صَارَ الْحُسْنُ مُنَحِيسًا قَسْرًا.

*

سَأَلْتُ الْأُولَى خَلْفَ الْقُرَى، فَوْقَ، عَلَّمُوا
تَقِيهِمْ نَدَاهَا، السَّنْدِيَانَةُ، وَالْحَرَا:

تُرَى ثَانَوِيُونَ الَّذِينَ احْتَضَتْهُمْ؟
تَعَالَوْا نَقْصُ الْمَجْدِ، نَسْتَلِفُ الدَّهْرَا!

أَفِقْ مِنْ كَرَى، زِينُونَ صَيْدَا، قُلْ اسْمَهُ
مُتَلَمِّذَكَ الْمُضْطَفِي عَلَى رُومَةٍ قَدْرًا!

هُمْ شَيْشَرُونَ، عِنْدَهُمْ، رَبُّ قَوْلِهِمْ
وَعِنْدَكَ، طِفْلٌ يَحْفَظُ اللَّفْظَةَ الْبِكْرَا.

أَفِقْ مِنْ كَرَى، لِيَبَانِيوسُ، اِرْمِهِمْ بِهِ
فَمَا ذَهَبًا أَنْتَ نَشَأُهُ صَقْرًا،

فَبَاتَ إِذَا مَا وَزَّعَ اللَّهُ طَاوِلَتْ
تَجَوُّعٌ إِلَى فِيهِ الْعَصَافِيرُ أَوْ تَعْرِى...

أَفِقْ مِنْ كَرَى، مَكْسِيمَ صُورٍ، وَرُدُّنَا
إِلَى مَرْكُرِيلِ السِّيفِ فَتَّهْ فِكْرًا،

فَلَمْ تَبَقْ أَرْضٌ لَمْ تَهُمْ بِخَوَاطِرٍ
لَهُ، قَلَّتْهَا الْإِنْجِيلُ أَوْ شِعْرَهُ نَشْرًا...

أَفِقْ وَآغَوْ مِنْهَا، أَنْطَبَاطُ، هَتَفَةٌ
لَكَاتُونَ طَارَتْ فِيهِ هَتَفُنَا الْحَمْرَا:

«لَأَمَّا تَمْتُ حُرِّيَّتِي لَا أَعْشُ أَنَا»
وَفِي الصَّدْرِ شَكَّ السِّيفِ شَرَّفَهُ صَدْرًا.



معي من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
تَمُرُّ بدار العمر حيث قضى شطرا،

ونسَمِعُ مَنْ غَتَّتْهُ: « طَبِّ، يَا حَمَامُ، طَبِّ
وهوَمُ لَمَنْ مِنْهُمْ سَيَجْتَرِعُ الْمُرَا... »

هُمُ لَهُمُ، أَوَاهِ ! أَنْ يُذِيهِمْ
ضَنَى، وَهُوَ أَنَا لَتَهْدُرُهُ هَدْرًا...

حَمَامُ، هُمُ اكْذُوبُهُمْ، هُوَ اصْدُقْهُ، إِنَّهُ
سَيَعْرِفُ أَنْ يَشْقَى، سَيَعْرِفُ أَنْ يُغْرَى...

حَمَامُ، وَثَلَّثَهُ لَهُ الدَّمْعَ طَيِّباً
كَمَا ابْنُهُ كَرَمٍ فِي الْجِبَالِ اكْتَوَتْ جَمْرًا،

فَمَنْ غَيْرُهُ يَدْرِي بِأَنَّ حَيَاتِهِ
يَنَايِعُ حَرَمَانَ وَيَقْصِدُهَا يَمْرًا

فَأَمَّا قَسَتْ بِالنَّاسِ دَاوَرَهَا يَدًا
وَأَمَّا بَدَتْ أَقْسَى بِهِ التَّمَسُّ الْعُذْرًا.

وَيَا طَيْرُ، يَا طَيْرَ الْحَمَامِ، افْتِنِ بِهِمْ
بَنِي الرُّضَى، أَمَّا بِهِ فَافْتِنِ الْعَصْرَا!

هَلِ الْعَصْرُ إِلَّا مَا اسْتَطَارَ مَعْلَمٌ
مِنَ الشَّرَرِ النَّزَالِ فِي الْهِمَمِ النَّصْرَا؟

إِذَا الْقَدْرُ الْأَعْمَى تَطَاوَلَ رَدُّهُ
وَمِنْ خَلْفِهِ النَّشْءُ الْأَبْيُّ مَشَى نَهْرًا!

وَتَمْضِي تُغْنِي، نَاسَ قِنْدِيلِهَا وَلَمْ
تَزَلْ تَشْتَرِي مَجْدًا وَتَرْفُضُهُ خُسْرًا،

تُغْنِي وَقَدْ طَارَ الْحَمَامُ وَلَمْ يُعَذِّ
لِقَصَّتِهَا إِلَّا تَأَوَّهَهَا جَهْرًا.

الْغَنِيَّةُ الْحَجَرُ

كالهند سرُّ الهندِ أنتَ، وكالتُّهى
أوتنتهى ؟ وإليكِ كان المُتتهى !

ماذا ! وتنهزم السيوفُ كسيرةً
ما نحن، تسألُ، ما الحَضِيضُ مِنَ السُّهى ؟

• في يوم نهر.

أَدَّبَتْهَا تِلْكَ السِّیُوفُ، فَصُتَّتْهَا
عَمَّا تَبَذَّلَ، یَوْمَ یَصْطَرَعُ الْبَهَا.

كَالْهِنْدِ أَنْتَ ! لَقَدْ جَمَعْتَ كِتَابَهَا،
سِيفَرًا سِیْقَرًا لَا أَسْتَدِلُّ وَلَا صَهَا"،

عَالٍ، وَمِ الثَّلْجِ الْبَتُولِ یَیَاضُهُ
أَوْ مِ الْحَمَالَايَا وَهَاتِیكَ الصُّهُیَّ".



أَكْمَلْتُهَا النَّفْسَ الْكَبِیْرَةَ" لَمْ تُكُنْ
ظِلًّا وَلَوْ لِلشَّمْسِ ثَبْرًا مِنْ كَهْیَّ".

(١) أُصِيبَ بِجَرَحٍ.

(٢) الْأَبْرَاجُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ.

(٣) الْمَهَاتَمَا.

(٤) كَلَفَ.

أَوْدَعَتْ مَا فِي كُلِّ بَالٍ مِنْ هَوًى
وَبِكُلِّ مَا يُرْجَى، جُبِلَتْ، وَيُكْتَهَى^(١).

وَحَدَّ كَمَا رُئِيَ الْمَلَاكُ رُؤًى، وَمِنْ
طِيبِ الْبَسَاطَةِ أَيْنَ سُلْطَانُ الدَّهَا؟

✱

ضُرِبَتْ عَلَى الشُّعْفِ^(٢) الْعَمَالِقُ حِكْمَةً
هَامَتْ، كَمَا الدُّنْيَا، تَسَائِلُ مَنْ لَهَا؟

بِالرُّعْدِ لَازَتْ، بِالرِّيحِ، وَبِالصَّبَا
مَنْ أَدْهَرِ، وَتَشَبَّثَ بِالْمُزْدَهَى،

حَتَّى إِذَا بَصُرَتْ بِصَدْرِكَ أَفِيحاً
وَلَجَّتْهُ فِرْدَوْساً لَهَا... أَوْ شُبَّهَا...

(١) يَجَلَّ.

(٢) الْقَمَم.

أَفَأَنْتَ مِنْ لُبْنَانَ نَسْجُ غَمَامَةٍ
أَوْ صَوْتُهَا، تِلْكَ الْمَكْوِكَةُ اللَّهَاهَا ؟

أَوْ سَكْرَةُ الْأَزْمِيلِ نَزَلَ مُفْرَدًا،
فِي بَعْلَبِكُّ، عَلَى يَدَي رَبِّ سَهَا ؟

أَنَا بَعْلَبِكُّ لِي... وَلِي هُنْدُ الْمَلَا
أُغْرُودَتَا بَالٍ إِذَا الْوَتْرُ اشْتَهَى:

أُغْنِيَةُ الْحَجَرِ اسْتِفَاقَ إِلَى الْعَلَى،
أُغْنِيَةُ الشَّعْبِ اسْتِقَامَ فُتُزْهَاهَا،

تِلْكَ السُّمُوُّ وَهَذِهِ الرُّفُقُ اعْتَبِرْ،
يَا خَاطِرِي، وَرِدِ الْجَمَالَ تَالَّهَا !

هَنَا خَصَرْنَا الصَّخْرَ أَعْمَدَةً، عَلَى
إِفْرِيزِهَا انْتَحَرَ الزَّمَانُ مُوَلَّهَا،

وَهَنَّاكَ قَدْ دَوَا النَّفْسَ كَوْنًا مُفْعَمًا
بِاللَّهِ أَرْوَعَ مَا أَبَاحَ وَمَا نَهَى.

هَئَا الضِّيَاءُ مَجْمَدًا وَمُقَدَّمًا
لِلشَّمْسِ إِنْ شَحَّتْ، لِقَلْبِكَ إِنْ وَهَى،

يُعْطِي وَيَرْفَعُ، مَا يَدُّ إِنْ قَلَدَتْ
أُخْتًا لَهَا؟ طَابَ التَّفَرُّدُ مَجْبَهَا!

وَلَأَعْمَدُ يَنْهَضُنْ، يَحْمِلُنَ السَّمَاءَ
بِدَعِ الْجَهَالَةِ هُنَّ أَوْ بَدَعِ النَّهْيِ.

وَجَنُونَ رَبُّكَ فَوْقَ عَقْلِ عِبَادِهِ
إِلَّا الْأُولَى جَعَلُوا الْحِجَارَةَ نُبَهَا...

وَهَنَّاكَ أَجْنَحَةُ السَّلَامِ تَخْطُهَا
فِي الْأُفُقِ أَقْلَامٌ تَرْفَعُ عَنْ جَهَا^١

(١) خراب.

مِنْ بَعْضِهَا كَانَ الْبِیَاضُ، وَقَبْلُهَا
وَالْبَعْدُ حَاضِرُهَا تَشَعُّعٌ أَوْجُهَا...

قَالَتْ صَفَاءُ الْقَلْبِ، وَسُوسَةُ الْجِلْدِ،
لِحَظِّ الْأُمِّمَاتِ النَّوَظِرِ مِنْ رَهَا،

وَكَاثِمَا الْأَنْهَارِ مِنْ بَشَرٍ وَمِنْ
صَوْتٍ وَمِنْ مَوْتٍ... هِيَ الزَّمَنُ التَّهَى !



أُغْنِيَّتَانِ ! الْهِنْدُ، سِينَاءُ السَّلَامِ،
وَبَعْلَبُكُ، لُقَى الْجَمَالِ مَجْهَجُهَا !

هَاتِيكَ قَدْ خَسِرْتُ يَدِيكَ، وَهَذِهِ
أَنْتِ لَهَا إِلَهَامٌ أَعْمَى أَكْمَهَا ؟

مَنْ قُلِّدَ الْبَلَدَ الْكَبِيرَ كَرَّاصِفِ
الْحُسْنِ الْكَبِيرِ ! كلاهما لن يُكْنِها !



يا هائماً خَلَلَ الوجود، أَلَا اشْتَعِلْ
في الْمُعْوزِينَ كما الزهورُ، كما الزُّها.

إحدى تَعُودُ الْأَغْنِيَاتُ كما الهوى
في القلبِ إِنْ صَدَّرَ إِلَى صدرٍ شَها.

كالْهِنْدِ سُرُّ الْهِنْدِ أَنْتِ، وكالْتُّهْيِ
أَوْتَنْتَهْيِ ؟ وَإِلَيْكَ كانَ الْمَنْتَهْيِ !

وَلَا تَكُنْ لَكَ وَالِدُ الْعَمْرِ

ما الموت ؟ شمعةُ رأسٍ منك تُفْتَقَدُ
واسلَمْ بياقة شعري، عِطْرُهَا الأَبَدُ !

مَهَابَةُ الأَرَز، بِنْتُ الفَارِسِي، أَنَا
نَبْكِكَ، فَلْتَسْغَاوِ السَّتَّةَ العُمْدُ.

* انشدت في يومي خليل مطران بعبك.

وَمَنْ تُرَى قَالَ: لَيْسَتْ سَبْعَةٌ ؟ أَنْذَا
عَظِي إِلَيْكَ، أَلَا فَلْيَكْمُلِ الْعَدَدُ.

سِوَاكَ فِي الشَّعْرِ فَلْتَدْمَعْ عَلَيْهِ رُبِّي،
وَأَنْتَ فَلْتُجْرَحِ الْعِيَاثُ وَالْجَلْدُ.

مُلْكُ لَكَ الْعَصْرُ، ذَاكَ الْقَصْرُ تَرْصُفُهُ
ذِكْرَاكَ. رُبَّةَ أَمْسٍ ضَجَّ فِيهِ عَدُّ.

كَأَنِّي بِكَ، يَوْمَ انْزَحَتْ عَنْ جَبَلٍ،
تَنْزَاخُ رَدَّتْكَ صَوْبَ الْخَالِدِينَ يَدُ !

وَالْخَالِدُونَ هُمُ الْبُدَّاعُ، مِنْ بَعْدُوا،
حَتَّى إِذَا لَحِقَتْ دُنْيَا بِهِمْ بَعْدُوا.

عَانَيْتَ، عَانَيْتَهَا الْجُلَى، كَمَا لُعَبُ
لِلْكَسْرِ قَدْ أَمْلَوْهَا أَنَّكَ الْوَلَدُ.

وَأَن رُّحْتَ تَغْيِيهَا سَمَوْتَ بِهَا،
كَذَا يَمَسُّ الْخَرِيفَ الطَّائِرُ الْقَرْدَ.

لَأَنْتَ وَالْفَكْرُ هُمُ اللَّهُ هُمُكُمَا،
وَالْآخَرُونَ يِيَالِ اللَّهِ مَا وَرَدُوا...

مَاذَا تَرَكْتَ خِلا الْأَخْلَاقِ ؟ لَوْ جَدْتُ
يَحْكِي لِقَالَ: « السَّنَى فِي حُفْرَتِي بَدَدَ ! »

دِيوَانَ شَعْرِي، تُرَاهَا الْحِكْمَةُ انْحَبَسَتْ
فِي دَفَّتَيْنِ، كَمَا فِي الْعِيَةِ الْبَرْدِ ؟

هُنَا الْمَسَاءُ وَنِيروِيَّةٌ، وَهَنَا
فَتَاتُهُ الْجِبَلُ الْمَحْلُولُ الْحَرْدَ.

أَخْتُ الَّتِي بِالضَّنَى وَالْأَهْمَةُ اتَّشَحْتُ،
وَأَسْبَلْتُ أَشْقَرًا بِالرَّيْحِ يَنْعَقِدُ.

لَهْفِي ! أبوها قضى، مَنْ كان يكفُلها،
يُتَم الحرائر جُرْح ليس يَنْضِـد !

لا هذه سَكَنَت، لا تِلْكُمْ انعمدت
إِلَّا إِذَا مَنْ غَزَوْا أَقْدَاسَهَا انعمدوا.

ومرَّة هُنَا الْآبَادُ عاصفة
بالنفس، قلت بسجنٍ قُطَّع الزُّرد.

وَمَنْ يَعِشْ فوق، عَيْشَ الصَّقْر، وَكُنْتُهُ
على الشَّعَافَاتِ، لا تَسْتَغِيهِ الْمُلْدُ.

القولُ لا قال... قال الفعلُ. فاحترزي
يا قامةَ الرمح، أَنْتِ الطَّعْنُ لا المِـد.

غَالِيَتْ؟ ... ما ريشةٌ في الكفِّ مُشْجِرةٌ ؟
ما جلمدٌ جُبَّتِيرِي السَّنَى فِرْد ؟

أَيُّ أَدَاتِكَ ؟ لَوْ خُيِّرْتُ قُلْتُ : « بِهِ
كُتِبَتْ ، ذَاكَ الْعَمُودُ الصَّامِدُ الصَّمَدُ ،

غَطَطَتْهُ فِي مِدَادٍ أَنْتَ عَاصِرُهُ
مِ الشَّمْسِ أَوْ مِ الرِّيحِ الْهَيْفِ تَنْقُدُ ! »

مَنْ كَانَ عَوْفِي لَوْ أَنْتَ انْضَيْتَ ؟ أَلَا
أَهْبُ بِأَنَا قُدَامِي الْفَتْحِ وَالْجُدِّ .

وَحَدَّثُمَا أَنْتَ فِي الْأَسَادِ بَاكِئَةً
وَبَعْلَبَكُ... كَلَا فَنَيْكَمَا أَسَدُ !

تَاخِذَا ، شَطْرُ بَيْتٍ وَانْهِيَارُ عُلَى
مِنْ بَابٍ بِأُخْسَ كَادَتْ بِالرَّدَى تَفْدُ ،

تَقُولُ : « مَنْ يَسْمُ بِي ، حَتَّى لَيَرْجِعُنِي
إِلَيَّ ، يَشْهَقُ لَهُ مِنْ ضَوْئِي الْجَمَدُ ،

روح له أنا ذي، وليشق فهو أنا،
وبعد فلَيَفْتَرِقْ عن روحه الجسد».

وقبل أن أَرْجِعْتُ، كانت يراعُتُك
افتتت تلاعبُ من علّوا ومن عضدوا.

وأعنتُ لَفْظَةً حتّى لماد لها
مادّ وقال: «انزلي في النهر نبتد

فان وقعتِ على زندي وجعتُ أنا
للحسن أطلبه في حيثما أجد!

أكون عدتُ هباءات فيخلقنني
خلقاً، كأنّي مما لا أنا أريد.

أبهي من البدء ردُّ البدءِ ملعبةً،
فالعبُ بكون... ودعهم يُفْنِهم حسدٌ...»

* * *

وَعَنَدْتُ قَافِيَاتٍ مِنْكَ، فَانْتَبَهَتْ
حَسَنَاءُ نَقَشُ عَلَيَّ، فِي عُنُقِهَا صَيِّد.

— أَنْتَنْ مَنْ ؟ قَلَنْ : « لَا تَجَاهَلِي اذْكُرِي،
أَمَّا لِأَنَّكَ زَلَفَاءُ لَنَا سَجَدُوا ؟ »



خَلِيلُ، خِلْتُ الْعَظِيمَ الْبَعْدُ مُتَكَبِّرُ
فِي مَقْلَعِ الْعِزِّ، مَنْ لَمْ يَحْكِهِ أَحَدُ،

يَقُولُ : « فَوْقِي فَلْتُنَقَشْ، فَلَا حَجْرُ
سِوَايَ أَخْلُقُ بِالْمَجْدِ الَّذِي فَقَدُوا ! »



صَدِيقُ لَفْتَةٍ عُمْرِي، قَدْ وَعَدْتُكَ، لَا
أَخْلَفْتُ، لَا يُخْلَفُ الْإِبْطَالُ إِنْ وَعَدُوا.

أَلْمَعْتُ... فَاغْذِرْ ... فَمَا إِلَّا عَلَى قَلَمِي
اصْطَكَّتْ سِوْفٌ وَلَا إِلَّا بِي الْحُشْدُ.

مُعَلِّمِي أَنْتَ فِي الْحُرِّيَّتَيْنِ: هَوَى
الْعُلَى، وَعَصْفِي بِالثَّوَارِ إِنْ بَرَّدُوا،

هَلْ كَذَّبُوا؟... قَالَ لِبْنَانُ أَنَا... وَأَنَا
إِمَّا وَجِدْتُ فَبِالْأَحْرَارِ أُنْجِدُ!

دَاوُد مَرِي

دَاوُدَ شَعْرِي الْيَوْمَ، هَا شَعْرِي كَتِيبُ،
غُصْنٌ شَرَّدَ عَنْهُ الْعِنْدَلِيبُ.

فِي هَمُومِي كَانَ أَنْ تُغَرَى بِهِ،
عُدَّ يَعُدُّ لِلْأَرْجِ الذَّاكِي هُبُوبُ.

❖ صِيحَةٌ بِكَيْنَا انْطُون قَازَان.

لم تكن رِيحَ الشَّمَالِ اقْتَلَعَتْ،
لا الدُّجَى يَلْتَفُّ، لا الهمَّ يَنْوِبُ،

كنتَ ما لم يُدَرَّ بالحِجْسِ وبالعقلِ :
رُوحَ الروحِ، تُحيي وتُذوِبُ !

زُرْتَهَا الأَرْضَ ؟ ... أَشْكُ ... اختَلْ معي
زُرْتَ بَيْتَ الشَّعْرِ، كالْبَالِ الحَبِيبُ ...

ما غروبُ الشمسِ يُعْطِي فكرةً
عنكَ، بل نكهةً أَنَّ ثَمَّ غروبُ

في المَلَاكِ اتَّفَقُوا أَنَّ مَفْرَدَ
شخصه، لا مثلهُ في الخمرِ كَوْبُ.

أُتْرَى من سِرْبِهِ أَنْتَ ؟ أَجِبْ.
أَوْجَعُ الأَجْرَاحِ أَنَّ لَسْتَ تُجِيبُ !

كُلُّ شَيْءٍ هُوَ فِي الْكَوْنِ، سِوَى
اللَّهِ؛ مَنْ نَاجَتْ وَلَمْ تَذَرِ الْقُلُوبُ !

هُوَ فِي الْمَابَعَدِ، فِي أُغْنِيَةٍ
رَبِّمَا تَسْكُنُهَا أَنْتَ تَطْيِبُ.

أَنَا إِنْ تَجَمَّحَ بَعُودِي نَعْمَةً
كَنتَ أَنْتَ الْأَمْرَ بِالْعُودِ تُهَيِّبُ.

نِصْفُ شِعْرِي كَانَ كَيْ تَقْرَأَهُ،
لَا تُبَاعِذْ أَوْ هُوَ الْقَفَرُ الْجَدِيدُ.

أَمْسِ، مُذْ دُكَّتْ قَرْيٌ مِنْ أَرْضِنَا،
زُرْتُ بِالْيَمَنِ مَوْجَعاً فِيهِ اللَّهْيَبُ،

فَاسْتَبَدَّتْ بِي ثَوَانٍ كُنَّ لِي
دَقَّ بَابٍ، قُلْتُ نِي الْخَاطِي يَتُوبُ !

ذاكِرْ لَيْلَةَ نَادِينَا عَلَى
رُؤْيَتِي لِلْكَوْنِ وَالْقَوْلُ صَخُوبٌ ؟

رُحْتُ تَعْلِينِي، حَتَّى لَأَنَا
خَمْرَةٌ ضَجَّتْ بِهَا الْكَأْسُ السَّكُوبُ،

وَجُهَاثُ الْحَقِّ تَهْوَى لِفَتْيِي،
قُلْتُ وَجْهَ اللَّهِ تَهْوَاهُ الدَّرُوبُ !

ذَاكِرْ قَوْلَكَ بِي مُتَصَرًّا
لِجُنُوبٍ أَنَّهُ ثُوبِي الْقَشِيبُ ؟

أَلَيْسَ الْعِزُّ إِذَا أَلْبَسَهُ
« آتِنَا » مَنِّي كَمَا مِنْهَا الشُّحُوبُ،

كَانَ هَمِّي نَبَشَ مَا فِي أَرْضِهِ
مِنْ ذُرِّي رَاحَتِ عَنْ اللَّهِ تَنُوبُ،

نقرت صيدونُ من بعدي أنا
وترأ قيثارُه الكونُ المَهيبُ،

وتغاوت صورُ، لا مملكةُ
بعدُ أو قبلُ تُدانيها تلُوبُ،

لا علي السيفِ انبتُ، لكنْ علي
قولةٍ أنْ ليس في صورَ كَذوبُ،

كَلِمَةٌ تُعْطَى نَفِي، صيرنا بها
شُرَكَاءَ الأرضِ نَجِي ونجوبُ !

وإذا مريمُ قانا ارتعشت
أنْ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألحَّت نبرةٌ في صوتها
بعضُها لُبَّانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعة، فَرِّي من غدٍ
هكذا يُطَلَّبُ الوجهُ العَذوبُ^(١)

يَوْمَها، فوق رَبِّي من عندنا،
ظَهَرَ اللهُ وما عادَ يَغيبُ !

الجَنُوبُ ؟... اِشْمَخْ به رَأْساً رَضَى،
كان لِبْنانُ إذا كانَ الجَنُوبُ.

كُلُّ هذا قَلَّتْه فيِّي أنا ؟
كُلُّ هذا أَنْتَ إِنْ حُقَّ النَصيبُ.

ضِيعْتُ في نُبْلِكَ من تِيهِ كما
في الذي قَبْلَهُ ضاعَ الصُّليبُ !

(١) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إني وذكراك، الكلامُ اليوم: ما
تَبَغِه يُبَغِّعُ وكالسيفِ يطيبُ.

سَتَتَنِي أَبْقَى الضمير، اشدُّ يدي
أو أَدَمِّي وتَهَاداني الخُطوبُ.

عِشْتَ فُرْقَانَ الهدى، في حيثما
كنتَ كان الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

الصعوباتُ العلى أنتَ لها،
تضربُ الضربةَ وتُثْقَى لا تُخِيبُ،

بالشُّبا تهجمُ؟ بالصرخةِ؟ لا
إنما باللينِ مرمأه غريبُ.

مرَّةً تبسِّمُ، تُغري المعتدي،
وتهزُّ الرأسَ، أخرى، فُتْرِبُ.

لائذاً بالسحب تدري أنه
وحده القوة إن صاب المصيب.

يا شقيق الدِّيمِ انهالت على
جبلٍ، فهو بما تهوى خصيبٌ،

خارج المُمْكِنِ خُلُقاً ورضى،
كنتُ، حتَّى لِيَمْنَاكَ الوجوبُ.

لا من الأرضِ ولا من نبيها
أنت. أنت المَعْتَلَى وهي الرُّسوبُ.

مرَّةً عرَّجت. قالوا: رابها
أن رأت من هو للبال ربيبُ،

أعيد الكَرَّةَ، زُرْها اليومَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشُّعْرَ أنا والعندليبُ.

عَمَلَقُ مِصْرَ

شِعْرٌ وَلَا أَنْتَ؟ ... فِي بُرْدِي انْضِنِي أَلَمْ
عَمَلَقَ مِصْرَ، تَطْلُعْ، وَانْحَنِ هِرْمُ.

رَاثِ أَنَا الْيَوْمَ؟ ... دَعْنِي مِنْ رِثَاءٍ وَبُكَاءٍ،
نَارٌ بِيَالِي وَفَاءٌ كُنْتُ أَعْتَزُّمُ

• يَوْمَ احْتَفَلَتْ مِصْرُ بِعَزِيزِ ابَاظِهِ.

قالوكْ تُكْمَلْ خَطًّا؟... ويحهم خطلوا،
في غفلة الوحي، أَنْتِ الطُّورُ وَالْكَلِمُ.

الشَّعْرُ بِعَدِكَ صَارَ الشَّعْرَ، رَدَّدَهُ
مَنْ رَأْسُهُ فَوْقُ، مَنْ لَمْ يُغْرِهِ غُفْمُ.

إِنِّانِ أَهْوَاهِمَا: نُبَلِّ بِشَعْرِكَ لَمْ
يَتَعَبْ، وَلِبْنَانُ مِنْهُ تَتَعَبُ الْأُمَمُ.

سُكْرِي بِشَوْقِي أَوْ آتِي غَيْرُ ذِي شِيمٍ
وَقَوْلُ شَوْقِي بِزَحَلٍ السُّكْرُ وَالشِّيمُ،

(١) إشارة الى قول شوقي:

إِنْ تُكْرِمِي، يَا زَحَلُ، شَعْرِي إِنِّي
أُنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةٍ إِلَّاكِ،

أَنْتِ الْخِيَالُ بَدِيعُهُ وَغَرِيْبُهُ

اللَّهُ صَاغِكِ وَالزَّمَانُ رَوَاكِ !

هنا الهوى شَدَّ بين الأمتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعْرَكَ أَنْتَ، الشَّعْرُ يَعْبُدُهُ
معي، وَتَغْوَى أَنَا وَاللَّيْلُ وَالتُّجْمُ...

ما أَمْرُوكَ؟... إِيحَالُ التَّاجِ ضَلَّلَهُمْ
وَجَاءَ جِبْهَتَكَ الشَّمَاءَ يَسْتَلِمُ.



حُمِلْتُ غَصْنًا مِنَ الْأَرْزِ، اسْتَظَلُّ بِهِ
أَوْ رَعْمَيْسُ أَوْ الْوَفَادُ مِنْ عَظُمُوا

أَوْ مَنْ نَمَاهُمْ ثَرَى لُبْنَانٍ، مَبْدِعُ
الْبَدَّاعِ: مَنْ نَثَرُوا الدُّنْيَا وَمَنْ نَظَّمُوا،

بِهِ أَلْفُ جَبِينًا لَا الشَّمُوخُ حَكِي
أَعْلَى، وَلَا الْعُودُ وَفَاءُ وَلَا النَّعْمُ.

طَوَّقَتْ جِيْدِي بِأَنِي « عَقْلُ أُمْتِنَا
يَعْلُ مِنْ سِحْرِي » الْأَثْبَاتُ وَالْهُيْمُ ؟

كَلَامُكَ السِّيفُ، هَا بِالسِّيفِ تُرْسِيْلُهُ،
وَالْأَصْطَكَاكَ سَكُوْتُ عِنْدَهُ الْقَلَمُ !

بَدِيْعُ رَصْفِكَ، فِيهِ أَنْتَ: قَامَتْكَ
الْغِيْنَاءُ، صَدْرُكَ، صَدُقُ الْعَزْمَةِ، الشَّمَمُ،

وَفِيهِ مِنْ أُسْرَةٍ قُلْتَ الرَّمَاْحُ نَمَتْ
قَوْمًا، وَقُلْتَ بِخَيْلٍ طَارَتْ الْهِمَمُ !

مَصْرُ تَنْشِيٍّ مَا الْقَوْقَاژُ أَنْبَتَهُ
مِنْهَا الْحَضَارَةُ، مِنْهُ النَّبْلَةُ الْحَكَمُ.

مَا الشُّطْرُ مِنْ بَيْتِكَ الْمَلَانِ غَيْرَ صَدَى
لِكُرَّةٍ عَبَّرَهَا الْأَعْدَاءُ تَنْهَزُمُ،

حتى إذا ردَّ شطرَ آخرٍ لمعت
أهزوجة النصر يغوى فوقها العلمُ!

أما القصيدة، مما رُحِتَ تَعْمُرُهُ،
فالبرجُ ماد كمن بالأفقِ يصطدمُ،

يقول إنَّ ابتهالاً سِرُّ فتته
وإنَّ دَقًّا على بابِ السما الحُكْمُ!



غَنِيَتْ لُبْنَى، أَلْبَنَى غَيْرُ مَنْ هَجَرَتْ
لَتَسْكُنَ الدَّمْعُ فِي عَيْنِكَ يَنْسَجُمُ؟

لَنَجْمَةُ الصَّبْحِ وَدَّتْ لَوْ تَكُونُ لَهَا
بَدِيلَةً، وَعَلَيْهَا الشَّعْرُ يَنْهَدُمُ.

وَارِيَتْهَا لَا بُتْرَبٍ، بَلْ بوردٍ ضُحَى،
وَالْحَبُّ حُبُّكَ وَرَدَّ بِالشِّدَا بَرْمُ...

وفجّر الدمعُ فيك النبعَ. مصرُ، ردي
نيلاً من الشعر، يا نيلاً هو الكرمُ.

بمصرَ حُبَّتِ الدنيا، فكيف إذا
راحتْ على الريشةِ الخضراءِ تضطرم ؟

أقولُ: كُتِبَ الى نجمٍ تُشَدُّ فِطْرُ،
حُدُوثُ، والعب كما لم يلعبِ القَدَمُ.



عِمالق مصرَ، قوافيكِ الكِبَارُ بنا،
بنبلها ————— ما يزأل الأرزُ يتَّسَمُ.

وَمَنْ أَنَا لأرْدُّ اليومَ بَعْضَ ندى ؟
صُمُّ قوافيٍّ في رَدِّ الندى بُكْمُ.

إن شاعرَ هامَ بالنيلِ انتشتِ قِمْمُ،
في أرضنا، أو تصبى مادَتِ القِمْمُ.

مَصْرٌ هِيَ الْمَجْدُ، كَانَ الْمَجْدُ مُذْ طَفَرَتْ
فِي الْبَالِ، فَالْكُونُ أَذْنٌ بَعْدَهَا وَفَمٌ.

أَوَّلُو التُّهَى الصَّيْدُ نَادَتْهُمْ هَيَا كُلُّهَا،
وَعِلْمُهَا رَفَدَ الصَّيْدَ الْأُولَى عِلِمُوا.

غَاوٍ بِهَا شَرَفُ الْإِنْسَانِ، مَا خَذَلَتْ
عَصْرًا، وَغَاوٍ بِهَا ذُو الرِّيشَةِ الْعَرِمُ،

إِنْ ضَامَهَا الضَّيْمُ مَسَّ الْخَالِقِينَ دُنْيَى،
أَوْ نَالَهَا الظُّلْمُ رَاحَ الْحَقُّ يَظْلُمُ.

لَبَنَانُ نَحْنُ ! وَهِيَ نَحْنُ الشُّهُودُ لَهَا،
نَدِينُ، يَوْمَ أَنْتَصَافٍ، لَيْسَ نَتَّهِمُ.

الحُبُّ نحنُ شرَعنا^١، الحُسْنُ نحنُ بدَعنا،
البُغْضُ نحنُ قطعنا أَنه العَدْمُ،

جَبِيلٌ قالت بقاءَ النفسِ واكتشفتُ
رَبًّا أَبى لقضاءِ السيفِ يُحتَكَمُ،

الليلُ لولا سُرَّها غربةٌ قتلتُ
والشمسُ لولا هواها وَهْمٌ مَنْ وَهَمُوا.

بلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروحِ يُسخى بها، في العَظْمِ يَنثلمُ،

في الريحِ، في غَضَباتِ الغيظِ، في غَدنا،
في مبتغى ما ابتغى الأبطالُ إِنْ هجموا،

(١) إشارة إلى قول الإله إيل: « الحربُ ليست من مشييتي، ضَعُوا
الأرضَ الصَّالحَ، ابذروا في الترابِ المحبةَ، وصَبُّوا السَّلامَ في
الأرضِ ».

ما لم تَزِنْ مِصْرَ وَزَنَ الْحَقُّ يَبْقَ دَمٌ
على الضميرِ وَيَبْقَى أَنْ يُرَاقَ دَمٌ !

✱

أَطْلَلْتُ مِنْكَ عَلَى التَّارِيخِ رَنِّحْنِي،
هَمِي كَمَا الضَّوْءُ فِي بَالِي، كَمَا الدَّيْمُ...

وَيَعْطُرُ الْبَالُ إِنْ يَمْسَسُنْكَ، عِطْرَ يَدِ
مَسَتْ بِنَفْسِجَةٍ أَنْفَاسُهَا حُرْمٌ.

لَمْ لَا؟... وَفِي الْقَصْفِ الْعَالِي الَّذِي نَسَجَتْ
غَزَارَتَاكَ اسْتَجَدَّتْ سِحْرَهَا النُّظْمُ.

غَدَا الْهُوَى بِدَعَةٍ، مَرًّا يِبَالُ هَوَى
وَسُكْرَ عَقْلٍ عَلَى الْقَرطَاسِ يَرْتَسِمُ،

وَأَيَّةُ طَرْفَتْ حَتَّى لِيرْشُقْهَا
غَيَانُ أَنْ أَنَا ضَلِيلٌ وَلِي جُرْمٌ...

بالكأسِ أَفْدِيكَ، بالدنيا، بساجعية،
بلوزِ نِيسانَ للزَّيْناتِ يَيْتَسَمُ،

بالشُّعْرِ، بالمنتهى، بالمجدِ أَشْعَلْنِي،
بحطِّ عَيْنِي بِعَيْنِ الْحَقِّ أَتْهَمُ !

حتى إِذا لَاحَ لي أَنِّي وَهَمْتُ؟ هَمْتُ
مَنِي الشَّجُونُ كَمِنْ أَفْلاكِهَا السُّدُمُ !

رَفِيقَ شَطْرَةِ عَمْرٍ، ذَاكِرٌ وَلَهْأَ
بِشُعْرِ مَطْرَانِ وَالْأَلْبَابُ تَحْتَدُمُ ؟

أَسْمَعْتُكَ الْمُرتَجَى. ما كان؟ ... دَغْ خُلُقِي
لِللصَمْتِ، لا شَرَفَ إِلَّاكَ، لا ذِمَمُ !

ما زِلْتُ مِنْهَا كَمَا بَوَّحَ النِّسِيمُ لِمَنْ
مِنَ التُّسِيماتِ تُشْقِي وَهِيَ لا عَلمُ:

— مُرِّي بدارتنا، يا طِفْلَ، وانحطمي
على بساطٍ من التَّسْرِينِ يَنْحَطُّ...

يَهْدَبُكَ الرِّيحُ تَنَائِي، أَنْتِ مَرْتَحِلٌ !
بِقَدِّكَ الشَّوْكَ يَذْمَى، أَنْتِ مَنَّتُكُمْ !!

إِنْ كَانَ بِالْهَزَجِ مِنْ صُبْحِكَ لَا أَمَلٌ
فَعِنْدَ خَصْرِكَ لِمَ لَا يَصْدُقُ الْحُلْمُ ؟

حَتَّى إِذَا يَنْدِرِي شَعْرٌ وَكُنْتَ غَوًى
تَمْلُمِلِينَ، وَآهَ الْقَوْلُ وَالْقَسَمُ،

تَهْمُ شَمْسٌ بَأَن تَغْشَى فَأَمْنُهَا:
ضِيْعِي مَعِي، يَا ضِيَاعِي، وَأَحْلُ يَا نَدْمُ...

وَتَسْأَلِينَ: لِمَنْ سَهْدِي، بِمَنْ وَجَعِي ؟
يَا قَاطِفَ الشَّمْسِ، أَكْمِلْ أَوْ أَنَا الرَّمَمُ !

وننتهي ننتهي في قُبْلَةٍ وَلِهَتْ
وفوقُ يغمزُ فينا بُلْبُلُ رُنْمٍ...

شيءٌ عن الشُّعرِ هذا، آستله كِلْفُ
بالشُّعرِ، أم سَكْرُ صَبٍّ ليس يحْتَشِمُ؟

فلنْبِقِه بيننا سرَّ الكؤوسِ، بها
يَمُرُّ هاوٍ فيدري أَنَّهُ الْجَمَمُ.

✱

عملاقَ مصرَ، إذا أُعِوزَتْ في حُلْدِ
فضْمٍ من حُلْدِنَا ما شَاءَتِ الضُّمَمُ،

مِنْ زهرِ لُبْنَانَ حُذِّ عَرشاً ومن قِيمِ،
لا زهرُ لُبْنَانَ مَنَّا وَلَا الْقِيَمُ.

فَلْيُرَوِّ الزَّمَانُ

على اسمك، بين الخور أغوى وأهدر،
أنا النهار، شوقي، أينما اليوم أشعر؟

هنا، الذكريات، المجد، ما بعد من صبا،
هنا أنت، فليرو الزمان ويسكر!

• يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طَرَقَتْ، لِمَامِ الطَّيْفِ، ذَاتَ عَشِيَةِ
وَكُوكَبَ مِنْ حَوْلِكَ جِنٌّ وَسُمَّرٌ...

هُمْ أَسْمَعُكَ الْقَوْلَ، زُلْزَلَتْ مِنْ شَجِيٍّ،
هُمْ سَكَبُوا، جُنْتُ بِكَأْسِكَ أَخْمَرُ،

وَحَتَّى إِذَا غَنَّى (شَفِيقٌ) وَرُنَحَتْ
بِلَابِلُ وَاعْلَوْلَتْ، لِمَا قَالَ، أَنْسَرُ،

وَعَرَّجَ صَوْبَ الْكُونِ (رَاجِي) يَزِيدُهُ
صَبَاءً، وَتَغَاوَتْ حِكْمَةٌ تَتَأَزَّرُ،

وَلَاعَبَ بَعْضاً مِنْ خَوَاطِرَ أَوْ مَنْيٍّ
بَيَانٌ لَذَاكَ (الشَّبَلِ) بِالضَّوْءِ يَقْطُرُ،

وَكَانَتْ نَسِيمَاتٌ لَزَحَلٍ عَلِيلَةٌ
تَجِي وَتَهِي وَاللَّيْلُ تَعْبَانُ مَقْمَرُ،

يسأَل: هذا الكونُ أكبرُ أم هم،
نماهم وغلَى أم نموهُ وجَبَرُوا؟

هممتُ بِنطقٍ... انما هبتُ موقفاً
فقلتُ: لكم يومٌ معي طاب يُذكرُ.



على سنتين الأرضُ دارثٌ... تطلّعي،
قصيدةٌ شوقي، جاءكِ السهلُ يزهرُ...

تقولين ماذا؟ أنا السيفُ والنهْيُ
لَهونا بأَكوازِ النجومِ نبعثرُ؟

وأنَّ جارةً طابَتْ على الحبِّ فالتوت،
لها فوقَ زُنْدِ غَنجَةٍ وتكبُّرُ؟

قصيدةٌ، فُضِّي السَّرُّ: خصرُ حبيبةٍ
هنا أم كلامٌ أبجديٌّ مخدَّرُ؟

أنا بعدما اعذوذتُ أعبدُ شِعْرَهُ،
وقعتِ على زندي وشِعْرِكَ أشقُرُ...

هو افتنَّ قصداً، قال شِعْرِكَ مِنْ دَجَى
يُسْتَرُّ... والعُشَّاقُ دوماً تَسْتَرُّ...

وقد لا تكونين استجبتِ. رددته
كسيراً... فان يعزفُ فعودٌ مجبَرٌ...

تعالني نُحِبُّ الحبَّ، جارة، لا انتهى
اليه زَمَانٌ، لا براه تحسُرُ،

كما اسمان في بعضِ الحكاياتِ علنقا
مَخِيلَةَ قُرَاءٍ فَجُئُوا وَدُمُّرُوا...

سوانا بعصرِ الكرمِ يسكُرُ. نحن لا.
بنا سَكْرُهُ الكرمُ، اقطفيكِ سَاعَصِرُ...

أنا لي أفانينٌ جديداً لذةٍ
عليهنَّ كرُّ الثَّانياتِ مَسْمُورٌ،

إذا همَّ آتٍ بالنفادِ ثِيْبُهُ،
تُرى الآنَ يُدرى لو أنا لست أنظرُ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خصرِكَ... لا جنت...
كفى أنْ سُسْتُهوى... كفى أنْ سُسْتُهذُرُ...

لذائذنا بالشوكِ أغرى تفتُحاً
وأوجعُ من شَمِّ العَرارِ وأعطُرُ،

وطرفكِ يَحْلُولِي لي فيخلقُ جنَّةً،
ويقطفُها طرفي فها هي أكثرُ...

نميدٌ؟... دعينا... بل تميذُ بنا الرُّبى
لنحْنُ غِواهنَّ الرُّبى والتبخُّرُ!...

تقولين لي: «أهواك!» تفتُر زهرة
ببال الصدى تحكي... وتبكي... وتسهر...

وإن تسكتي أحي التقاءَ لفتة
بلفتة تلك العين تدعو... فأبحر...

إلى أين؟... من يدري؟... لسرك بعضه
الدموع... وسري أنني لا أخبر!

والمعت أن لو يلتقي بقم قم
فالمعت أن لو لا يكون المقدّر.

وحاولت أن أشفى. سوى أن عاصفاً
بصدري رمانى حيث سخرُك يسحرُ.

وشدك صوبي من ذراعي تولة،
وأنك طوق المستحيل وأكسر!



بعيدٌ قريبٌ... عهدُ زحلةً بالذي
رماها ببالِ الناسِ حسناءً تطفرُ...

وآنا هي الشعْرُ الوحيدُ، أما انتهى
الى قولةٍ فيها تعيشُ وتخطُرُ؟

عروسي، حبي ما بدعتُ. لمنكرُ
أنا كلَّ شعري، غيرَ ما عنك أسطرُ!

بقلبي، شوقي، أنتُ! بالنهر، بالندى
بكل شذا وردٍ كما الخلقُ يُنشرُ!

تفينا الوفا هذا لأننا على الهوى
هززنالك، يوماً؟ ما الهوى؟ التُّبلُ أكبرُ؟

لِمَنْ أجلها ها أنتُ، ما الصبحُ، ما المساءُ؟
على ضِفَّةِ النَّهرِ، الأميرُ المؤمَّرُ

ولكنَّ منَّا من بكى. هل سمعته
يسأل، والتسأل كالبحر يؤثر:

— حديداً رَجَعْتَ اليوم؟! ويح مسافر
كما مرمرٌ هُنا، وهُنا تمرُّرٌ،

وما هم... كنتَ الشعر، يُكتبُ فرحةً
فيقرأُ آهًا، طابَ يَشْدُو وَيَزَارُ...

يخالونك الوقاف: أحداثُ عصرهم
لوتك، كما الأطلال والركبُ يهجرُ،

يضلُّون! لا إلَّا الجمالُ عبدته،
كبعضِ الدُّمى أحداثهم بك تعبرُ.

همومهمُ الناسُ: الغنى، السكره، العلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسنِ يَهْرُ...

تَوَافُهُ؟ مَا كَانُوا، ظُرُوفاً تَخِذْنَهَا،
كَشَمْسٍ تَدُوسُ اللَّيْلَ تَقْهَرُ تَقْهَرُ...

هُمْ مَفْرَدَاتُ الْمُعْجَمِ السُّودِ سَلَّهَا
لَيَرُصَنَّهَا كَالنَّارِ غَاوٍ مَغِيرُ،

فَتَسْمَعُ دُنْيَا مَا يَقُولُ وَمَا يَرَى،
وَتَقْلُقُ بِنْتُ الْغَيْبِ نَهْدًا وَتَظْهَرُ!

وَمَا الشَّعْرُ؟ بَعْضُ الْغَيْبِ غَنَى كَطَائِرٍ
وَبَعْضُ نُهَى إِنْ رَدَّ رَدَّ يُحْيِرُ.

وَيَا رَبَّ حَرْفٍ أَشْعَلَ الشَّطَرَ كُلَّهُ،
وَشَعْبٍ خَرَابٍ سَوْفَ تَبْنِيهِ أَشْطُرُ!

أخبر الكتاب

تمنعت في قلب الشمال كما الحصن
لك السهم يا اخت الكتاب، لك الرن
عليك تُحَطّ الشمس صعباً جمالها
وأنا تُحَطّ الريح عاصفها لدن
فيسمعك الحكام، يخفت صوتهم،
كأن قلموا ظفرا، كأن مسهم وهن

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

وَيُشْرِقُ بَعْضُ النُّورِ مِنْ صَوْبِ اهْدَنٍ
لَأَنَّ اسْوَدَّ أَشْعَرْتُ أَنَّ طَمًا الْغَبْنِ

وَيَا نُقْطَةً مِ الْأَرْضِ شَدَّتْ إِلَى الْعُلَى
رَجَالُكَ إِلَّا بِالرَّجُولَةِ لَمْ يَنْوَا

صَحِيفَتُنَا أَمْ سَيْفُنَا؟ أَيَّ فَارَقَ؟...
هَنَا شَمَخْتُ رَأْسًا، هَنَا شَمَخَ الْفَن

شُغِفْتُ أَنَا بِالْعَنْفَوَانِ، خَبِرْتُهُ
صَنُوفًا، وَآخَانِي كَمَا الْغِيَمَةُ الْمُرْنِ

وَلَكِنِّي لِلْعَنْفَوَانِ بِمَرْقَمِ
تَمَايَلْتُ قَلْتُ الطَّيْرُ مَالٌ بِهِ الْغَصْنِ

أَسْأَلُنِي: بِالْوَرْدِ، بِالشَّعْرِ، بِالسَّنَى،
أَنَا جِئْتُ، أَمْ بِاللَّيْلِ أَطْرَحُهُ يَرْنُو

الى قلم لينان أحلام باله
وأرزئه ما مكتسأه وما الرذن

أنا قلمي — أفديه ! — طفل ازاءه
له الزار إن نغضب معاً، ولي الآن

يصول يجول، النار بعض صريره،
به الأنس من غاب الشمال أو الجن،

وعلم أذني كيف تُنقر نبلة
كعود، وعيني كيف يتسم الطعن

لرائعة شكاته يوم هجمة
وصافية آراؤه والملا جئوا

يقول: هنا هادن، هناك أضرب الخنى،
هنالك خلّ المستبد له عن

وكأبرّ على جرح وقل: لم أصب أنا
ودع قيحة الحُكَّام يُسكرها الأحن

وأجملها الهمّات أن غريمها
يبيع على الجُلَى كمن هذه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهيم به،
هو الراهن الغلاب والآخر الظن...

وما ضرّ أن ردّوا عليك بمثلها
وحطّم منك الضّعْفُ ما حطّم الضغنُ!...

ستكبر ان تُهزم لأنك في غد
سترجع رُجعى السيف طيّهُ السنّ

بلى هكذا رحنا معاً نبتني العلي
سقاءً بلهو، وحده اللهو لا منّ

(١) إضمار العداوة

(٢) الخلط

(٣) الحقد

مُنَانَا رَضِيَ لِبْنَان، وَجَّهْ خُلُودَهُ،
نَضِيعَ بِهِ كَالشَّمْسِ ضَاعَ بِهَا الدَّجَنُ

وَمَا هُمْ أَنْ مُتْنَا وَلَمْ نَبْلُغِ الْمَنَى
كَفَى أَنْ مَشِينَا لَا التَّوَاءَ وَلَا هَذَنَ

غَدَاً، فِي خُطَانَا، يَجِبُهُ الصَّعْبَ نَفْسَهُ
بَنُونَ هُمْ الْأَسْيَافُ مِقْبِضُهَا نَحْنُ

الْيَلْبُ، أَيَا أَخْتِ الْكِتَابِ، مَكَارِمُ
تُحْجِجُ، تَقُولُ: الْكَأْسُ هَمِّي لَا الدُّنْ

هَلِ الْخَمْرُ بِالْحَجْمِ؟ ... اكشِفي عَنْكَ: آتَنَا
كَمَا صَوْرُ، قَلَّ الْجِسْمُ وَاكْثُوثِرَ الذَّهْنُ

بِأَسْطَرَكِ اللَّا بِالْأُلُوفِ حَمِيَّتِهِ
الشِّمَالُ، جِبَالاً مِنْ جَنَى حَوْلَ الْحَزَنِ

فلا مجدٌ من أرث الجدود اغتفلته
ولأغد عَزُّ هَيْبَةٍ وهو مَكْتَنٌ

جميعاً جمالُ الروح أنتَ له صدِّي
جميعاً بهاءُ الله أنتَ له سَدَنُ

بنفسجَةِ الأَقلامِ، يومُكَ، أُمَّةٌ
به افْتُتِنَتِ والعمرُ أَجْمَلُهُ فَتَنُ

لَيَطْرِبَ بالي حَمْلُ قِيثَارَتِي هُنَا
ولا طَرَبَ الأوتار طار بها اللحن

وشِعْرِي الذي غَنَّاكَ طَيِّبٌ بَثُّهُ
كما دَقَّةُ المِهْجَاكِ طَيِّبُهَا البُنُّ

رصعت بالي

رصعت بالي وعُمري ازهرٌ نظرٌ
كما يُرصّع ليلَ العاشق القمرُ

ودارت الأرض، لُقيانا على ورق
لقيا التي جُنّ من سَمْعٍ بها الوتر

لا مسها... لا رآها... صوّرت املاً
في موضعٍ ما... واحلاه الهوى صُور

« في يوم شفيق معلوف الذي دعت اليه مدينة الشعر.

ابقى من الحب وُدَّ اين عارفه ؟
هل يعرف العطرَ الا زهره العطر ؟

إن شاعران، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتهما في القبة الدرر

وفتحا الورد من روض ومن ريش
وفتا المسك حتى لهو منهمر

ورقصا الجن والاحلام وانتهرا
بؤابة الليل أن فلتُهتكِ السُّر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شمم ؟
ما الشمس تقطفها كفٌ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطأ... وما نسيأ...
وما به آه مما أسمع الحجر...

أَجِبْ، أُخَيَّ، الصداقاتُ التي ربطت
ما بيننا امس، حقاً شابها قِصْر؟

حقاً سَتَنْقِلُ كُتُبُ اننا خبر
كالغيب يُسألُ دوماً فيه: ما الخبر؟

ومرتين، عطياتُ الزمان هما،
يشاؤنا نلتقي لا يَخلُ العُمر

على ربي كرامة او ضفّتي نهر.
له الهدير الذي ما زال يُتَكرّر

اقول: خَلَّكَ في لبنان، مرتعها
تلك الطفولةُ نادى والمُنَى كُثُر

يُحِبُّنا النهرُ، يُروي ان منبتنا
في حيثما نبت الشجعان والشجر

وَأَنْ زَحَلَ سَمَاءُ بَعْضُ انْجَمِهَا
الشَّعْرُ، النَّدَى، الزَّنْبَقَاتُ، النُّخُودُ، الْكَبِيرُ

لَهَا الْفَتْوحَاتُ حَيْثُ الْوُلْدُ قَدْ مَلَكُوا
لَكِنَّمَا الْعَرْشُ حَيْثُ الْأُمُّ تَنْتَظِرُ

تَحْتَجُّ أَنْتِ بَقْلَذَاتِ لَهُمْ وَطَنُ
هَنَّاكَ، يَا جُرْحَ بَيْتِ أَهْلِهِ انْشَطَرُوا

أَلَا انْقُضَ الْيَوْمَ عَنْكَ الْقَبْرِ مَدْرَعًا
مَهَابَةً الصَّقْرَ عَيْنَاهُ هَوَى شَرَّ

مَجْلَجَلًا: أَنَا كُلُّ لَا أَشْرَدُ مِنْي
عَلَى الدَّخِيلِ انْتَصَرْتُ؟ الْكُلُّ مُنْتَصِرٌ

وَوَاحِدٌ مَجْدُ لُبْنَانَ الَّذِي أُخِذَتْ
عَنْهُ الْحَضَارَةُ مَا لَوْلَاهُ وَلَا حَضَرَ

جبلُ بيروتَ صيدونَ طرابلسَ
إطارها البَدْعُ أو لا كانت الأطرُ

ان مُسَّ ذِكْرُ لِقَانَا أو إِيصُورَ سَنَى
مُسَّ الكمالِ، رَوَى التاريخَ والعِبرَ

أو حُمِّشَتْ لَمْعَةٌ مِنْ بَعْلَبِكَ اسَى
تَوَجَّعَتْ مُهْجَاتُ الحُسْنِ تَنْفَطِرَ

أَقْسَمُ الْبَيْتَ ؟! ماذا ! الأَنْتِصَارُ سُدَى ؟!
ماذا ! دماءَ رفاقي في الفلا هَدَرَ ؟!

لِبَعْضِ لِبْنَانَ قَاتِلْتُ ؟! اشْهَدِي، شَيْمِي،
كَمَا السَّوَاهِلُ هَاتِيكَ الرَّبِي الخَضْرُ

شَمَالُهُنَّ، الْجَنُوبُ، الْقَلْبُ تَلَكُ سَمَا
بَالِي، لَتَبْقَى وَيَقَى الرَّمْلُ وَالتَّهَرُ

وَوَحَدَهُمْ أَهْلَهَا أَغْلَى عَلَى كَبْدِي
مِنْهَا، كَعَيْنِي أَغْلَى مِنْهُمَا الْبَصَر

جَمِيعُنَا لَفَحْتُنَا الْحَرْبَ: ذَاكَ بِمَا
قَاسَى، وَهَذَا بِقَصْدِ الْمَوْتِ يَتَدَر

وَلَنْ أَفَرِّقَ، نَاسِي النَّاسَ لَا بَعْدُوا
كَذَا الْيَنَابِيعُ، مَائِي الْمَاءُ لَا الْكَدَر

وَلَسْتُ أَخْسِرَ نَصْرًا هَزَّ أَعْمَدَةً،
لِبْنَانُ مَنْشَطَرٌ؟ لِبْنَانُ مَنْدَحَر!

تَرَاجَعُ نَحْنُ؟ سُكِنِي فِي الْخَبَاءِ؟ أَشْبَحُ
جَمَالُهُ السِّيفُ إِنْ السِّيفُ يَنْشَهَرُ

بَلَى جِرَاحُكَ مِنْ بَحَرٍ تَوَزَّعْنَا
هَنَا وَهَنَا صَغَارٌ عِنْدَهَا الْحُفَر!

اسكنتها بعضُ قصدان كما غُصصُ
للنَّاي اوجعُ منها الناسُ ان غَدروا

إِفْتِنُ بشعركَ لكن قلَّ تحطَّمه
ممن غَوُوا وبذِماتِ العلى كفروا

لَوَحَدَه في العداواتِ الدخيلُ، جرى
بباله غَصْبُ ارضِ تَرْبُها الطُّهر

وان نكن اِربى خضرٍ شمعُنْ هوى
شطِ وقَمَاتِ صخرٍ ليس تنكسر

معانادتِ، لها في الله، والتفتت
دوماً الى الله، قل هل بعدها حُسْرُ؟

بلى سنبقى ويبقى فوق صخرته
لبنان قَهَّارَ مَنْ ما غيرُهم قَهَّروا

وقال من خطر نمضي الى خطر ؟
ما هم ؟ نحن خُلقنا بيتنا الخطر

يا شاعرَ الحكمة اعلولت كما شرف
هيمى بما لا حكى الاغريق لا سَطَروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويك ! أجب
أأنت ربّ ليغشى قفرك الزهر ؟

تلك الأساطير سُكّر البال، واحدة
منها مرورك في الدنيا كما الشرر

تكون كانت، وشقت عبقْر غدها،
لو لم تُعرَّ لِعِلاق وتأتزر ؟

حقائق ام خيالات ملأت بها
كأس الوجود فدارت والملا سَكروا

قلت الجراح زهور الحب، قلت ندى
هم الندى، قلت ما السُّهَّارُ إن سهرُوا

غَوَّوا عذارى وزيناتٍ خواطرَ، ضيغ
ما بين بين يَجِدُكَ الصَّحْبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاق؟! ضللت منى،
يشقى بها الليل تلك الخردُّ الفكر

وقلت كيف الهوى الباقي ولو جرحاً
اشهى من العمر جراحاً به الضجر!

وقلت ما الحربُ الا القوةُ أفتنت
بنفسها، وزهورُ الشر لا ثمرُ

وان حريةٌ فوق الجمال هي
الاحرار، لا الكلمات الخلبُ الغرر

وَأَنْ مَنْ عَمَدَ الْعَلِيَا بِاعْمَدَةِ
كِبْعَلْبِكَ أَطَاعَتْهُ الْعُلَى الْأَخْرَ

حَنْتَ عَلَيْهِ السَّمَاءُ، أَغْفَتْ عَلَى يَدِهِ،
كَمَا تَغَافَى عَلَى اجْفَانِهِ النَّظَرُ

وَقُلْتَ مَا قَالَهُ لِلشَّمْسِ عَابِدُهَا:
اغْدُو أَنَا أَنْتِ أَوْ لَا يُبْلَغُ الْوَطَرُ

مَاذَا ! شَرِذْتُ أَنَا ؟ حَمَلْتُ خَمْرَكَ مَا
أَهْوَى ؟ لَهَا الْكَأْسُ أَمَا طَيَّبَتْ عُذْرُ

جُزْ جُزْ مَعِيَ صُوبَ اخْتِ الْحَسَنِ، رَبِّتِهِ،
فِي كُلِّ بَالٍ أَنَاهِيذُ لَهَا أَثَرُ

عَرَفْتُهُمَا أَنَا مَنْ، وَالْحَسَنُ اعْرِفُهُ
بِرَاهِ رَبِّ وَلَكِنْ كَمَّلَ الْبَشَرُ

نقلتها عن هواك، الله في يده
شاركك! ها بك أنت الحسن يأتي!

أعزف وريشتك الهدبان، ضيع وأضيع؟
وعبر هديين كم يعذوب السفر!

يا وردة الورد، خطي فوق ناسمة
أن زرتها الأرض فاحلوت لها ذكر

عينان لا الليل مرميًا بغيرهما
ليل، ولا الضوء إلا منهما خدر

ومعنى لم يزل يعلو كأن سحر
يقول أزميله: لا ينتهي السحر...

وقامة شكها شك الجريد بدت
لقاهرين بهوا بالحرب ما انبهروا

بلى، التقاء التي صُبَّتْ. كما حلُم
في بال شاعرها، قهرٌ ومقتدر

لأمةٍ صانها عن ذلّة قلم
لا السيفُ أجملُ ان يُسَعِفَ ولا القدر

لِمَ انتصرنا؟ أمّتنا الموت؟ لم نهب
الدنيا تجمّع منها النابُ والظفر؟

لأننا كان منا شاعرٌ عبَدَ الحسن،
العلی، المنتهى، العرض الذي يفر

ندى الغمام، سماح الكف، ردّك لم
تَجِبُنْ — قوافٍ بهنَّ الله يُختصر!

زهورُ لبنان، وهي الحربُ، ما وفدتُ،
نكّسْتُها الأسيْفُ، اعبُرْ رأسَ مَنْ عبروا

الى الخلود الى حبي، الى ملا
أعلى، جيّ له التيجانُ والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورّفت،
على اسم سيّدتنا، تعلو وتنتشر!

أَسْـمَعِي زَهْرُ بِنَا

ذكراك في البال ما ذكراك؟.. قل ضُربا
على هوى الرعد سيفٌ أشعل السُحبا

ولو لِرِيشةِ عصرٍ أن تظللّه
لكنت كالليل لفّ المنتهى بإيا

والليل وحدك تدري أين مَنبُعُه
وكيف كان وكان الله ما وهبا

• في مهرجان «أيام طه حسين» بالقاهرة.

من قبل ما الأزلُ ابدوذي رمى يده
على الذي سوف يغلو الكون واجتذبا

كذاك أنت، رمث عيناك ليلهما
ثِقْلاً على الشرق، ردَّ الشرق ملتها !

لا، لم تقلها « استفيقوا »، انما بدعت
يداك بدعاً تصبى الجفن والهدباً

بات الذي يقرأ « الايام » مختلياً
بالحسن والحسن يُنبى يوم ليس نبا

✱

بعد الكتاب الشجي استنَّ مُنتهَج
أنَّ يصدق القلم، أزهوهِ ام انتحبا

تعلَّم الجيل من طفل تمرُّ به
أزاهر فترى في وجهه العطبا

فتكتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذباً

يمضي اليها يغنيها يحببها
به: « يا أزهير، انتشي طرباً

أنا الطبيعة لم تُغدق عليّ فلم
أرُدُّ بالمثل؟... هاني الكأسَ والحببا

الا اشربي، يا أزهير، اشربي: لِيدي
تسخى كما النيل ان واثبتْ وثبا ».

تعلّم الجيل من طفل تؤدبه
« الأيام » حتى ليغدو وحده الادبا !



مَن واكبوكَ وَمَن ظلُّوا العجاج بِهِم
بنيتَ مصرَكَ واستنبتَها القُبَا

كما صرعت، رفعت: الريح آتتها
أند الغوى هي، لا ثوب ولا قشبا

واليوم في ظل ما أطلعت من فكر
ينام تيهًا على المجد الذي اصطخبا

دعني وخاطرة تفتّر قلت « نفرتي »
تعود على لعبات من لعبا

ذاك الذي حطّ في الصُلب الجمال اذ
اعلولى، وسمرها الأغنية الذهبا

مُخْلِياً لشروق الشمس غصّ شجاً
وباعثاً حسداً في الناي إن عذبا

ومسحة لا تبي سيراً ومفتتنا
بأن يرى أرباً ما لم يكن أربا

وشائلٌ بغواها وهمُ ان لها
مثلُ الجناحين رفًا فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صيباً
بفنّ مصر تغاوى في الحديد صيباً

حتى غدت للأولى قيلوا العقول مئى،
وللأولى ارتحن لاستغباهن غبا

لا الحسن، بل حُلْمُ أن الحسن طوعُ يد
كأنما الله مما نفهم اقتربا

ذاك الذي ترك التمثال متعباً
للناس قالوا انتهى يومَ انتهى تعباً

إزميله أنت أم لِمساتٍ إصبعه؟
سَلَّ وجهَ مصر وما أعطى وما حَلَباً



ومصرٌ ثنتان: ما احييت انت وما
ألهمت. هذي وتلك الفكر متسببا

الله ؟ أي هدى كانت هياكلها ؟
ومن تعجب لو لم تُعطِه العجا

نادت بُنَاة اثينا من غد، ورمت
في قلبهم شُعلة تستوقف الحقا

واستعجلتهم، فبرّوا أمهم كرمًا
فكّوا الظلام وقالوا القولة السبا

ومصرٌ من علّمت ! لا البدع تكتمه
عنهم، ولا خاطرات كالسيوف شبا.

كانها أنت، طلق بالها بندي
كانها أنت، زهر مرجها برّبي

واليومِ مِصرُكَ، مَنْ اطلقتِ، مصرُ مشّت.
فاقرأك شعبَ هُدًى واقراءك شعبَ ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخاً
تلك البطولات في الحرب ارتضتكَ أباً.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم ! إلا
افتحْ مقلتيك عليك، استبعدِ الريا

انت الحقيقة ! طرُ بالخاملين، أفضُ
فيهم عتُّوك، ضيئُ كالنور منسكبا،

سَيرَ الزمان الا سرَّعْ، هنا كسِلْ
شروقها الشمس في الشرق الذي اكتأبا.



آتِ معي زهرُ لبنان وكنتِ صدئُ
لثورة في بنيه تنزل العَصبا

ليست من النار لكن من ارادتها
تُعطي الهنيئاتِ نُبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنزل بقلبي، بِهِمَّ الأرز يومَ اسي،
بالشيخ بالريح، بالهباتِ غَبَّ صبا

إنزل بما ضَجَّ في لبنان من ولي،
بالكبر لم ينجرح، بالورد ما انثها

بماردينَ أبوا الا الحياةَ علَى،
بمُسكين بقرن الدهر مُطْلَبَا،

بحبهم، بضروبِ العزم في يدهم،
بقولهم للزمان: اركُضْ أم أنتَ هبا

تكنُ نَزَلت ببعضِ الصخر من جبل
له على المجد فضلُ المجد إن صَعُبا



هتفتُ باسمِكَ، ما لَقَبْتُ، لي عُدْري.
مَن ذا يُلقِبُها إلا بها الشُّبُها؟

طه حسين ويكفي ! ذاك متتهجّي
أنا كما السيفُ طَلَقًا أنزل الكُتُبَا.

وَقُلْ لِّلنَّاسِ الْخَيْرَاتِ؟

هُمْ سَأَلُونِي : السِّيفَ قَلْنَاهُ : هَلْ تُسَعِّدُ؟
أَجَبْتُ : أَجْعَلُهَا اثْنَيْنِ : سِيفاً وَلَا يُغْمَدُ

أَخِي نَوْفَلُ، الْأَبْطَالُ تُبْكِي. احْتَفِلْ بِهَا
دَمَوْعِي، وَيَبْكِي فَرَقْدًا فِي الْعُلَى فَرَقْدَ

شُغِفْتَ بِشَعْرِي؟ قُلْتَهُ شَكَّ رَامِحٍ؟
لَيْتُ قَصِيدِي أَنْتَ، وَالْكَلِمُ الْخَرْدُ

« فِي رِثَاءِ نَوْفَلِ الْيَاسِ »

تُصَفِّقُ لِي، هَا صَفَحْتِي قُبَّةُ السَّمَاءِ
بَأَنْجَمِهَا مَا جَمَعَ اللَّهُ أَوْ بَدَّدَ

تَقِيمُ شَعْرًا؟ حَسْبُهُ مِنْكَ هَتْفَةٌ،
لَهَا اللَّهُ! بَذُرُ التَّمِّ خُطٌّ عَلَى أَسْوَدَ

وَهَلْ كُنْتَهُ الْحَرَمُونَ؟ وَجْهٌ إِلَى هُنَا
وَوَجْهٌ إِلَى هُنَاكَ، طَلَّقْ فَلَا يُرْبَدُ

وَمَاذَا هُنَا... هُنَاكَ؟... قُلْ كُلُّ بُقْعَةٍ
حَلَلَتْ بِهَا عَاطِيَتُهَا خَمْرَةَ السُّوَدَدِ

فَدَيْتُكَ! مِنْ لَبْنَانٍ أَنْتَ زَهَا بِهَا،
جَمَعْتَ كَمَا الْمُعْطَى، تَرَكْتَ كَمَا الْمُفْرَدَ

لَأَسْمَحُ تَيْهَا حِينَ أَذْكَرُ قَوْلَهُ
لَكَ، اخْتَصَرْتَ نُبْلَ الْوَفَا وَمَضَتْ تَشْهَدُ:

— لأهلِ أنا أصبحتُ منهم أَظْلُنِي،
« وَإِنْ يَجْعَدَا أَعْتَبَ جَرِيحاً وَلَا أَجْعَدُ

أَنَا الْجَبَلَ الْعَالِي، كَمَا اللَّهُ جَارُهُ،
أَجْرَدُ مِنْ وَرْدٍ؟... أَجْرَدُ لَا أَجْرَدُ

*

وَيَا نَائِرَ الدُّرِّ، الْمَنَابِرُ أَوْهَتْ
عَلَيْكَ، وَجُرْحاً بَاتَ مَنْ كَانَ قَدْ غَرَّدَ

وَقَدْ أَخَذَتْ عَنْكَ الْمَنَابِرُ لَفَحَهَا،
وَطَايِبَهَا الشِّعْرَ الَّذِي بَعْدَكَ اسْتَوْحَدَ

شَهِدْتُكَ مَا بَيْنَ الدُّهَاءِ أَمِيرَهُمْ
وَسَابِعَهَا — فَلْتَكْتَمِلْ — عُمْدُ الْمَعْبَدِ

وَيُصَغَى إِلَيْكَ، الْحُجَّةُ الْبَكْرُ تَكْتَسِي،
عَلَى فَمِكَ التِّيَّاءُ، بِالرُّونِقِ الْعَسْجَدِ

فإن أنت فَنَدْتَ، السيفُ تقطعت
وإن أنت أَيْدَتْ، الهدى كله أَيْدَ

شهدتُك، هل لي أن أَرَدَّكَ زِعْزَعاً؟
تشيل بقوم أو تُحْطُ ولا تَجْهَد

هدوءٌ كما الأولمب، رَبُّ لأمرِهِ
أقول الروابي انصعن وامثل الجلمد

✱

وينا خُطْبَةً لا النَّسْيُ مَسَّ جلالها
ولا ليلُ مَوْتٍ عاتٍ فيها أو استنفذ

تَظْلِيْن صَرْحاً للأولى عبدوا النهى
وربُّ شُمُوخٍ في جبينِ النهى يُعْبَد

✱

بلوتُ شجاعاتِ أنا، وعَجَمْتُها
بما لي من كِبَرٍ، ومن هِمَمٍ مُرَد

ورحت بها أفري العقول، أحكها
على العاصف استوحيته البحر إن أزد

واضربها في الهم والغم، انتخي
كأن قدر عزمي، كأن قبلي ميد

ولكن من القبر استمع لي نهرتها :
له، يا شجاعات، اسجدي، كلهم سجد



ويا نوفل الأبطال، جرّك الأسى
أن الأرز في لبنان أوقف لا يصعد

وأغمضت عيناً خلفتهن سيّاً
جبالاً وشطّانا وبحراً بنا استمجد

وعدتكَ : لبنان يعود، وسيفه
على الكل، لا أبهى لشعب ولا أخلد

جمي عبقرى، لا الى الغير عينه
ولا القرش مولاه، وعدتكَ لا يفقد.

فهرست الكتاب

٧	لي صخرة
١٠	على شاطئ الذات
١١	أجمل الأعراس
١٦	فخر الدين الثاني
٣٣	الهُنِّيَّة
٣٥	تكسرت الأسياخ
٤٣	من وردتين اثنتين الشمس
٥٣	النهران
٥٩	اللون الآخر
٦٥	نهر الذهب

٦٨	كلامي على ربّ الكلام
٧٢	سائليني
٨٥	غنيّة مكّة
٨٨	نسَمَتْ
٩١	شامُ يا ذا السيفُ
٩٤	مرّ بي
٩٦	من شاعرٍ
١٠٧	المُعَلِّم
١١٦	أغنية الحجر
١٢٣	ملكُ لك العصر
١٣١	داوٍ شعري
١٣٩	عملاق مصر
١٥١	فليروِ الزمانُ
١٦٠	أُحِثُّ الكتاب
١٦٦	رَصَعْتُ بالي
١٧٩	آتٍ معي زهرُ لبنان
١٨٨	وهل كنته الحرمون ؟
١٩٣	رجعت إليك كلّك

الوثيقة التبادعية

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٧٦

الطبعة الثانية ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون نظام سياسي، فن حياة

١

سكان كوكب الأرض، عشية الألف الثالث بعد المسيح،
يمكننا القول انهم اصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قفز قفزة كبيرة صوب معرفة ذاته.
لم يبق يُرضيه ان نُضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في
البّدع، كأنما هو مزامل لله.

الثانية : تعاسة، اكبر تعاسة، ان نقتلع الانسان من ايمانه
بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكب
الذي ما كان قد كان، لولا نشاطه هو الانسان، سوى
صخرة بلا قيمة مرمية في الفضاء، هي تبقى الى مليارات
السنين وهو، الذي ثمرها وبّدع مدنيّتها، يكفّ عن وجود
بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا
يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور،
عَصَرَ أخذوا يقدرّون الجودة في وجه الكثرة، أعاد الايمان
بأبدية الانسان. مع كل موكبها: الله قادر على كل
شيء، بادع اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليقته التي
تُكْرَم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرب ان تصير مثله أو
تبتعد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »،
« أزل »، « أبد » — ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة
واحدة — بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان
بالله. ان السرمدية، بجزئها الازل والابد، يملكها الله
وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك
الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أما الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد، فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوب ان يشعر بكرامةٍ أجملِ الكرامات .

أن يضارب لا على أقل من أن يدع ولا يتنازل عن الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض الكواكب، كل عاقلٍ راق سوف يلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور. ومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يحكم نفسه بموجبها، ويمضي خطاً تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ الناس، موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تنوّع نشاطها : من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحابُ النور الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ العاديين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيا فيل وهوبس. كل من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلقاً بعينه. وإنما يخيل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد : « انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة ؟ » سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرة وجود من هو رب البقاء : الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، هزّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما هزّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقّفه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكملاً طريقه صوب الانسان - الموهبة، هكذا تفتّق له أن يعمل حكوماته.

تعال نمشي مع هذا الخط .

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يكون له ملك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحى هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحايين نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحى القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون خدما الوطن. لكننا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمة الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمة الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضيئهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون - الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروته، تاجه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الأمة. وهكذا نُصبح أمويين أو أنتر أمويين. وهنا، في مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقد متطلبائنا وتتعد الانظمة السياسية التي تطمح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ نتبين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسان البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر: صوب الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يدع، بحق وبسهولة، إلا اذا راح، في كثير أو قليل، يدع معه سائر الناس ويُدع حلمهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بدع، إلا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يدع نفسه والعمل الذي يدعه والاشخاص الذين هم سواء وأحلامهم وأدواتهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيّدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلو على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدر على اجتراحها إلا اذا عمل هو والناس وأحلامهم
البدع وأدواتهم البدع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظام يفرض سيادة
اثنتين : الحرية والجودة، ولا بحال يُحدّ من الحرية، ولا
بحال تُفضّل الكثرة على الجودة.

الحرية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون
مسؤولة تجاه نفسها. بعد هذا الفرض الذي تقوم به
اختياراً، (اعني في نطاق الحرية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن
يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حد. ان الوجود
العظيم، الذي منه ينبع كل شيء، هو حرية. بنتيجة وعي
هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ،
نُدرك ان افضل تفتح للانسان يتم في الحرية. لكي تبادع
يستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرية. وهكذا يستحيل ان
يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضل وادّر على اصحابه
والذ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل
التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي
يمارس حريته بسهولة لا يجوز له أن يرفضها بشيء من

التهوّر أو من الخفّة. مَكَلَّ على هذه الوسائل : المال. إن
 تُصنِّمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال أحياناً يَشْمَرُ
 نفسه لصالح نفسه، يجعل الإنسان زَلْمَةً له، هذا لا يجوز
 أن يجعلنا نستهيّن بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول
 الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخيّر من مكان الى مكان.
 استبدال المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال
 كالابجدية : الشعب الذي عملهما كليهما عملهما لا يزداد
 عليهما شيء. تقدر أن تخربط في أصول استعمالهما، لا
 تقدر أن تستغني عنهما. ليس من مال أو ابجدية عند
 الجماد أو النبات أو الحيوان. والإنسان عَمِلَ المال
 والابجدية ؟ المال والابجدية يقيان للإنسان. واضحٌ من
 المالك ومن المملوك. تتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء.
 والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها
 الكبار : بدويّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن،
 قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل
 منها مفتاحاً ثمنه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة
 ثمنها ٢٠٠ ليرة. وجدها عالم، استخرج منها طاقةً ثمنها
 ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها،
 تصبح لها قيمة وتأخذ تكبير هذه القيمة بنسبة ما يُضاف
 اليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يَبْقَى عارفاً

حَدّه، يُعطي التعاملَ حُرّيّةَ هائلة. لهذه، المال خالد. ومِثْلُه
الرأسمال وَحَقُّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو
جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر
ان تكون له إلا اذا كانت لغيره، تُدفعه من هذا المال،
لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه
اللعبة، بقدر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمنة خير
الفرد. حرية في التعامل لا حد لها، ما مثلها سند لتفجير
الخير. ومن الخير تغذّي الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر
على تنفيذ المخطط الطموح. والموازنة اثنان : أخذ من
المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاء للمكان الواجب أن
يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولة، تجعل المنتج
تَلذّه زيادة مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني
في تنمية تبادع أُمته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادع أُمم
العالم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء :
الشخص — انتَ والغير — العمل، التعامل، الأهداف وحتى
الاحلام. من هنا ان التبادعية جودةٌ عمومية، للانسان
وللشيء معاً. هي اذن رَفْضُ مجتمع الانتاج للاستهلاك،
رفض السرعة التي تُلَهْث ولا تُوصل إلا الى المكان الذي

بيان في النهاية أنه متأخر عن المنطلق، رَفَضُ العمل
الكثروي الذي لا يَنْقَعُ غَلَّة. على النقيض من كل هذه
يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه
ويجودنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى
فنانِ حياتك. فرّق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك
وان تتجودن. التبادعية ليست حركةً ازدياد، انها بالاحرى،
حركة كَسْر طَوْق، نفاذ الى درجة في الوجود أعلى. حتى
المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية،
جَوادات قلب ايضاً : نخوة، وعطاء، ومحبة للكل،
وصِدْقاً، وقدرة على تذوق الجمال، وشجاعة كلمة
خَلَاقَة، ولفتة تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربة على
لُعبِ شَبِيهَةٍ شَيْئاً بِلُعبِ الله.

فهرست المجلد

.....	كما الأعمدة	٥
.....	الوثيقة التبادعية	٢٠١



Bibliotheca Alexandrina



0586830